

سلسلة أفكار معاصرة

دين ضد الدين^{٢٩}



الشهيد الدكتور
علي شريعتي

دين ضد الدين

الشهيد الدكتور علي شريعتي

ترجمة: حيدر مجيد



مؤسسة الفكر والثقافة

مقدمة الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عندما نتكلم عن شريعتي، لا بد أن نتكلم عن الإسلام - الأيديولوجيا.. بما يعنيه هذا المصطلح، من ثورة وفكر وحضارة وحاكمة، من هنا طرح شريعتي مفهومه المُوَحَّد والمُوَحَّد هَذَا، من خلال ثلاث طرق:

١ - فهم الإسلام فهماً متكاملًا، وعدم الإقتصار على فهم الأمور التي تتعلق بحياة الفرد فقط، بل فهم الاقتصاد والسياسة والمجتمع والتاريخ ومتطلبات العصر، من منطلق الإسلام ذاته، لأنه عقيدة متكاملة، لكل زمان ومكان.

٢ - أن يُطَهَّر الفكر الإسلامي من عناصر الجمود والركود، سواءً التي لصفت به عبر عصور التخلف، أو التي أدخلها الاستعمار.

٣ - أن يصبح الإسلام ثقافة الجماهير، كل الجماهير، وأن يخرج من احتكار بعض المناجرين بالدين، والذين جعلوا من الدين دكاناً للإرتزاق، يروجون به أفكاراً حسيبوا ديناً عن علم أو جهل،

إسم الكتاب : دين ضد الدين

إسم المؤلف : د. علي شريعتي

إسم المترجم : حيدر مجيد

تصحيح لقوي وفهرسة : محمود البدري

مراجعة وضبط : حسين شعيب

تنضيد وإخراج : حوراء محمود البدري

تصميم الغلاف : New Moon Ray

الطبعة الأولى : ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠٢ م

قالوا في شريعتي

الإمام الخميني (قده)

«لقد أثارت أفكار الدكتور شريعتي الخلاف والجدل أحياناً بين العلماء لكنه في نفس الوقت لعب دوراً كبيراً في هداية الشباب والمتعلمين إلى الإسلام»^(١).

السيد أحمد الخميني^(٢)

إن ما قدّمه الدكتور شريعتي كان عظيماً، بحيث يتعذر عليّ الآن الإحاطة به، لأنه في الواقع كان ولا يزال معلماً الشورى الإسلامية.

(١) من كلام للإمام الخميني (رضي)، راجع كتاب «شريعتي درجهان» صفحة ١٩٤، تأليف حميد أحمدي، والصادر عام ١٣٦٥ هـ. ش، عن شركة سهام انتشار (الناشر).
(٢) مصدر فارسي: از كتاب كتابين راه سوم (مراسيم در منزل دكتور علي شريعتي)، قرّ عام ١٣٥٩ هـ. ش / ١٩٨٠ م.

ليسقطوا الأهداف السامية للدين الحقيقي^(١).

وتعبيراً عن هذه الأفكار جاء كتابه هذا -دين ضد الدين- أو «الدين ضد الدين» والذي يعتبر من أقوى كتبه -وأخطرها- ليكون حلقة رئيسية في منظومة شريعتي الفكرية، والتي تعمل على إبرازها من خلال مشروعنا القائم لـ: ترجمة ونشر الأعمال الكاملة للدكتور علي شريعتي، وذلك بالاتفاق مع مؤسسة نشر آثار الدكتور في إيران، بموجب عقد موقع حسب الأصول القانونية، والذي أصبح فيه دار الأمير للثقافة والعلوم -بيروت يملك الحق الحصري بترجمة ونشر آثار الدكتور شريعتي باللغة العربية.

ونحن إذ نطرح هذا الكتاب للنشر، نشوِّج بالشكر الجزيل للمترجم الأستاذ حيدر مجيد علي ما بذله من جهد جهيد، في ترجمة هذا الكتاب، والذي يأتي بعد ترجمته للكتاب الأول -التشيع العلوي والتشيع الصفوي- ليضيف للمكتبة العربية منارة أخرى من منارات الدكتور شريعتي، ونحن والفراء الكرام بانتظار الانتهاء من ترجمته للعمل الثالث وهو -كتاب معرفة الإسلام- بتصه الكامل، والذي سيصدر قريباً بحوّه تعالى.

أخيراً ندعو الله سبحانه أن يوفّقنا لأداء هذه الرسالة، معتمدين عليه وحده، عليه توكلنا وإليه نئيّب.



(١) يتصرف عن مجلة الشهيد (العدد ٢٠) تاريخ ١٣٧٩/٦/٢٧ م - ص ٣٤.

المستقرين والتابعين للأجنبي. ولكل ما يأتي من الخارج، حيث كانت علاقته بالأمة قوية وكان متفاعلاً معها... يستلهم منها ويخاطبها وكان ذلك دأبه وديده^(١).

الإمام السيّد علي الخامنئي^(١)

في الحقيقة كان الدكتور شريعتي موالياً، صلب العقيدة وعاشقاً لكل ما هو مقدّس في الإسلام، وذلك ما لمسناه من قرب، وليس من خلال ما أشيع عنه، أو ما قالته عنه التيارات الفكرية في حقّه، وهنا يمكن أن نستند في تقييمنا للدكتور شريعتي على نقطة مهمة، وهي من خلال مواجهته للتيارات الفكرية الأخرى في ساحتنا، وكانت هذه التيارات تدبّأت عملها من خلال ثلاثة محاور؛ وهي: مواجهة الحسّ الوطني، ومواجهة كل ما هو إسلامي، ومحاولة تفتيت الأمة. وكانت تلك التيارات تتقدم بحسب اتجاهاتها، ولكن الدكتور شريعتي لما ظهر على ساحة الفكر المسلّم اختلف مع تلك التيارات في عمله بمقدار ١٨٠ درجة، مما يعني أن الدكتور شريعتي كان له ارتباط قوي بالإسلام، وأنه كان على طرفي تقيض مع حثالة

(١) مصدر فارسي: روزنامه عجمدهمين سالگرد هجرت وشهادت دکتر علي شريعتي، الناشر: كرد آرونده، محمد علي أمير گل، إيران، وشت، ص ١، از روشنگران وشرعتي، ص ٥٥ - ٥٧، شخراطي، رهبر معظم انقلاب در مدرسه عالی شهيد مطهری.

(٢) الرائي الفقيه وقائد الجمهورية الإسلامية في إيران، وكان في أيام الثورة على معرفة وصلة بالدكتور شريعتي.

الدكتور شريعتي، أبوه رجل دين غير معمم، إسمه الشيخ محمد تقى شريعتي. وهو رجل فاضل أسس مؤسسة في خراسان اسمها «مجمع الأبحاث القرآنية». وأنا ألقيت محاضرات هناك، قبل عشر سنوات تقريباً.

الدكتور شريعتي، هو إيراني قروي من قرية «مازينان» في إيران، قرب «كوير» يعني الصحراء في إيران. تخرج من جامعة «السوربون»، واختصاصه «علم الاجتماع الديني». وعاد إلى إيران، وكان يعطي دروساً في جامعة خراسان، ثم في جامعة طهران، ثم تحول إلى داعية ديني.

له أكثر من مئة وخمسين كتاباً. كتبه، محاضراته، في الواقع، محاضراته أربع ساعات، خمس ساعات، ست ساعات، سبع ساعات إرتجال، تسجل وتُطبع وهكذا.

أهيب شامخ، فكره إسلامي نضالي متفتح، إسلاميته، وطبقته، وموقف رجال الدين، لم تجعل من دعوة الدكتور شريعتي، دعوة محافظة، رجعية، يمينية كما هو التقليد، لأن الدعوة الإسلامية، تعتبر في كثير من الأوساط، دعوة محافظة على الأقل، لكن دعوة الدكتور شريعتي للإسلام، دعوة تقدمية، ثورية، نضالية، أو ما نسميه نحن دائماً في إجتتماعاتنا، دعوة حركية، وليس دعوة مؤسسية. يعني ليس الإسلام دكتاتاً يجب أن تحتفظ بمكاسبه، وتأخذ لأجله من الناس، ونسخر الناس لخدمته، كما حصل بالنسبة للمؤسسات الدينية.

الإمام السيّد موسى الصدر^(١)

الذي صلى على جثمان شريعتي في دمشق ١٩٧٧ م

كان لنا صديق، زميل - قائد من قادة الفكر الإسلامي، هو الدكتور شريعتي، توفي في هذه الفترة الأخيرة. وفي «الرسالة» التي ستطبع إن شاء الله بعد يومين أو ثلاثة، يوجد له نعي وصورة، والعدد القادم من الجريدة سيخصص له بإذن الله.

أحببت أن أنقل للإخوان، صورة عن هذا الرجل، وألقي بهذه المناسبة ضوءاً على البعد العالمي لحركتنا.

(١) السيّد موسى الصدر حين عن التصوف، أسس حركة المجريين في لبنان، والمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى الذي ترأسه. وكان له الدور الأهم في إطلاق وتشجيع المقاومة المسلحة ضد «إسرائيل»، ووقع ضمار «إن شرف للقدس يأتي أن يتحرر الأعلى أيدي المؤمنين» من هذا الحيداً حمل الإمام الصدر على بناء القاعدة الإيمانية الرفيعة على المستوى اللبناني، ونافذ إلى جانب الإمام الخميني الذي كان يعتبره إبناً من أبنائه.

هذا النص أهلاه جاء في الإحتفال الفاتيني الحاشد، الذي أقامه الإمام الصدر تأليفاً للدكتور علي شريعتي في الكلية العلمية في بيروت. وعلى أثره سحب الشاهد المقبور الجسدية الإيرانية من السيّد الصدر.

المؤسسات الدينية اليوم، لها أموالها، ولها أوقافها، ولها رجالها، ولها شؤونها وبروتوكولاتها، ولها خصوماتها، ولقاءاتها، ولها مكاسبها. تماماً مثل الاتحاد السوفياتي أو الصين، بعدما تحولوا إلى دول، ونسوا كونهم حركة إنقلابية عالمية. فبدأوا يفكرون بالإحتفاظ بمكاسبهم، ولأجل الإحتفاظ بهذه المكاسب، يجب التحالف حتى مع الشيطان، أو مع نصف الشيطان، أو مع ربع الشيطان بالتالي، فنرى أن الصين الشيوعية اليوم تلتقي مع القوى اليمينية في العالم للإحتفاظ بمكاسبها وللمنافسة مع الاتحاد السوفياتي، والاتحاد السوفياتي نفس الشيء.

إذاً حركة إنسانية، في مرحلة من المراحل كثيراً ما تتحول إلى مؤسسة، متى؟ عندما تشيخ. الحركة في بدايتها شابة، ناشطة، متحركة، تخيف، تقتحم، تقدم، إلى أن تنتهي أنفاس المؤسسين، فتشيخ، وتفكر كيف تحفظ رأسها، ولا تصطدم مع الناس، تتحالف مع هنا، وهنا، تفكر بالإحتفاظ بالمكاسب.

الدكتور شريعتي، في أحد كتبه، يقول: في فرنسا، رحلت أشتري مجلة «جون أفريك» Jeune Afrique، فوجدت أن الأمن الفرنسي قد جمع نسخ هذه المجلة الغنية الإفريقية، قلت في نفسي: يا سبحان الله! فرنسا، معقل الحريات، مركز جميع أنواع الدهوات، من الشيوعية المتطرفة، إلى التروتسكية، إلى غير ذلك، إلى اليمين إلى الوجدانية، والوجودية، وكل أنواع الفكر؟ كيف فرنسا هذه تخاف من مجلة «جون أفريك» فتجمعها من السر؟

السبب أن هذه مجلة شابة، حركة جديدة، تقتحم وتخيف، بينما الحركات الأخرى كادت تتحول إلى مؤسسات لها وجودها.

طبعاً الدكتور شريعتي، كان أحد قادة الفكر الإسلامي في العالم. أفكاره قيمة جداً، وكان يحضر درسه الأسبوعي، حوالي ستة آلاف طالب وطالبة جامعيون أو متخرجون، في مؤسسة معينة باسم «النادي الحسيني للإرشاد».

طبعاً خورب من قبل الحكم في إيران، وخورب أيضاً من قبل مجموعة من رجال الدين، الذين يعتبرون الإسلام حكراً عليهم، وميراثه من حقهم، وهم وحدهم يفهمون الدين، ولا يحق لأحد أن يفهم غيرهم.

هذا الرجل بالفعل كان مصدر الإلهام، والتفكير والعطاء لكثير من الحركات الإسلامية، من جملتها حركتنا. ونحن سنحاول، بإذن الله، بالإضافة إلى العدد القادم من «أمل ورسالة» أن نخصص عدداً نلخص فيه أفكاره، ثم نترجم ونطبع أفكاره وكتبه ومحاضراته، حسب التيسر وفي حدود الإمكان، في لبنان، بإذن الله^(١).

بدون شك، إن التيار الذي كان يحترم ويكرم الدكتور شريعتي، كان تياراً ساحقاً، تقريباً الشبيهة المسلمة في إيران، وهو الذي جعل التيار الإسلامي في إيران أقوى من التيارات الحزبية

(١) السيد موسى الصدر كان أول من نقل كتب شريعتي ومحاضراته إلى اللغة العربية، وأول كتاب كان الشهادة والذي قمنا بإعادة نشره هذا العام ولكنه - السيد موسى الصدر - وليس حينها وضع اسمه على الكتاب كترجم أو مترجم (الناشر).

الأخرى. يعني الجامعة كانت يدهم، والتأثير الإسلامي كان عميقاً في المجتمع الإيراني، حتى أن الشيوعيين استسلموا للحكم، وبقيت الحركة الإسلامية تقاوم وتناقل وتناقل.

الدكتور شريعتي، من خسائر الفكر الإسلامي، والفكر الحركي، الفكر النضالي المعتمد على الإيمان بالله سبحانه، ولذلك نحن نعتبره فقيدها وخسارتنا، ونكزّمه في هذا اليوم، يوم علي، مولاه ومولانا، ونبعث إلى روحه أيضاً، ثواب الفاتحة^(١).

الشهيد الدكتور مصطفى شمران^(١)

رفيق الإمام موسى الصدر في لبنان
ووزير دفاع بعد انتصار الثورة

... وأنت أيها الرب الكبير قد منحتنا (علي) لتعلمنا طريق

(١) بعد إشفاعة الشعب الإيراني المسلم في (١٩٦٣/٦/٥م)، ذهب الشهيد مصطفى شمران (أخوه) إلى مصر (في عهد الرئيس جمال عبد الناصر) لتلقي تدريبات على حرب العصابات، وبعد إنهائه لتلك الدورة التدريبية أخذ على عاتقه تدريب المجاهدين الإيرانيين خارج البلاد. ونظراً للموقع الاجتماعي الذي يتبوّأه لبنان، فقد وجد في جنوب لبنان منطقة مناسبة لنشاطاته والتي شارك فيها العديد من قادة ورجال الثورة ومنهم نجل الإمام الخميني (ره) السيد أحمد الخميني (رحمه الله)، وتمكن مع الإمام الصدر (أماه الله) من تأسيس «حركة المحرّرين» والتي سبقت فيما بعد بحركة أمل.

عاد إلى إيران بعد انتصار الثورة الإسلامية، فوضع حجر الأساس لمؤسسة حرس الثورة الإسلامية من خلال تدريب أول مجموعة من الحرس. كما ابتنى عن طريق تولي منصب مساعد رئيس الوزراء لشؤون الثورة، لحل المشاكل التي كانت تواجه النظام الإسلامي. عينه الإمام الخميني شخصياً وزيراً للدفاع.

انتخب نائباً عن طهران في انتخابات أول دولة لمجلس الشورى الإسلامي، ثم عينه الإمام الخميني ممثلاً عنه في مجلس الدفاع الأعلى.

(١) مسيرة الإمام الصدر. الجزء ١١ ص ١٥٤ - ١٥٥ إعداد وتوثيق بمقرب شاهر - دار بلال - ط ١، سنة ٢٠٠٠.

المعشق والغداة وطريقته، ليحترق كاشممع وينير لنا الدرب، وها نحن نقدمه لك كأفضل هدية ليستقر عندك ويبدأ حياته المخاللة في ملكوتك الأعلى.

قسماً بالمعدل والعدالة، أنك - علي شريعتي - كالموج المتلاطم تغلي في نداءات المظلومين ضد الظالمين ما دام الظلم والإضطهاد يُثقل كاهل البشر^(١).

مقدمة للطبعة الفارسية

بسم الله الرحمن الرحيم

الهدف من نشر هذه السلسلة هو أن تقوم - بمون الله - بتحرير وطباعة كل نتاجات الاستاذ الشهيد الدكتور علي شريعتي، المسموعة فيها والمقروءة، سواء نشرت من قبل أم لم تنشر بعد، وذلك بأسلوب يتوخى الدقة والأمانة ويأخذ بعين الاعتبار جميع التمديلات والآراء التي استحدثت لديه دون أدنى تصرف في ما هو المأثور عنه.

ومن هنا، فإن جميع كتابات وخطابات الاستاذ الشهيد والتي طبعت بلا اشراف منه، سوف يصار إلى إعادة طبعها بعد مطابقتها مع الأشرطة والمذكرات الأصلية، مراعاة للأمانة العلمية وتنادياً لحصول سوء فهم أو توظيف.

نسعى إلى تبويب المطالب ونشر ما كان متوزعاً على كراسات صغيرة أو متوسطة، في كتاب واحد وتحت عنوان واحد، محققين بذلك أحد أماني استاذنا الشهيد «تراجع لهذا الغرض وصيته المنشورة في سلسلة الآثار - العدد ١».

كل كتاب أو مجلد سوف يتضمن في آخره فهرس شاملة للأعلام والأمكنة والمصطلحات والمفاهيم. إن مهارة وحكمة استاذنا

وقام بتأسيس قيادة حرب المصالحات في مدينة الأحواز عند بدء الحرب مع العراق، جرح في ميدان الحرب عام ١٩٨٠م، ثم عاد إلى الجبهات بعد شفاؤه. استشهد في ٢١ حزيران عام ١٩٨١م عند إصابته بشظية قذيفة مدفعية في جبهة الحرب بمنطقة الدملانية. (الناشر).

الشهيد في استخدام المفاهيم والمصطلحات الموجودة في تراثنا الاسلامي الايديولوجي وايضاً في الثقافات والممارس الفكرية الأخرى، هو احدى الباقيات الصالحات لاستاذنا الشهيد، وبالتالي فإن التمتع في هذا المجال يعدّ امرأ ضرورياً لمن يريد أن يوفق الى التعرف على أفكار هذا الرجل الكبير واستشراف متبنياته الفكرية والعقائدية والثورية، والاستفادة من هذا الرصيد التربوي الغني.

يشار الى اننا قد نورد بعض الإشارات مدعومة بذكر مصطلحاتها، فيما اذا اقتضت الضرورة، وذلك في قسم الملاحق.

جدير بالتأكيد والملاحظة ان الملاحق تم اعدادها من مكتب النشر، وعليه فهو يتحمل مسؤولية كل الأخطاء والهفوات والقصور الذي يمكن ان يسجل عليها.

على أمل أن يعثر طلاب الحق وأصحاب الفكر النحر الملتزم في هذه السلسلة على أسلم نتائج الاستاذ الشهيد وأكثرها نقاء وأصاله.

ملاحظات الناشر

يشتمل هذا الكتاب على ثلاثة أقسام أصلية وقسم رابع خاص بالملاحق يتألف بدوره من أربعة مواضع.

أما الأقسام فهي كالتالي وحسب الترتيب:

١ - الدين ضد الدين - وهو عبارة عن محاضرة في ليلتين

متوالتين ألقاهما الاستاذ الشهيد في صيف ١٩٧٠ م في حسينية الارشاد بطهران. وقد تم تحويل هذه المحاضرة الى نص مقروء في حينها وبإشراف من الاستاذ نفسه، ومن هنا فقد أجرى المكتب مقارنة بين النص المحزّر والكلام الموجود على الشريط واكتفى بإجراء بعض التعديلات الضرورية.

٢ - أبتاه، أماه، نحن متهمون - وهذا القسم هو في الأصل محاضرة أيضاً ألقيت خريف عام ١٩٧١ م في حسينية الارشاد أيضاً، بعدها أجرى الاستاذ بنفسه تعديلات وأضاف لها أموراً أخرى ونشرت سابقاً على هيئة كتاب.

٣ - نعم، هكذا كان يا أخي ١ - هذا القسم محاضرة أخرى ألقاه الدكتور الشهيد خريف العام نفسه (١٩٧١ م) وفي نفس المكان (حسينية الارشاد بطهران)، ومن ثم أدخل عليها إضافات وتعديلات وجاءت توضيحاته على متن المحاضرة المحزّرة.

٤ - الملاحق، وتتألف من الأمور التالية:

الف : توينبي، الحضارة والدين - وهي عبارة عن حوارية كتبها الاستاذ بنفسه، ويبدو أنه أعدّها في ضوء حوارات جرت بينه وبين توينبي في مشهد، ومما يلزم ذكره أنّ هذه المقالة تطبع لأوّل مرّة، وتاريخ كتابتها غير معلوم.

ب : وداعاً يا مدينة الشهادة - وهي مقالة كتبها الدكتور في أواخر

شتاء ١٩٧٢ م بعد أن حرم من مواصلة التدريس في جامعة مشهد.

ج : لولا البابا وماركس - مقالة منه لا يعرف تاريخ تحريرها.

د : ندوة للإجابة عن الأسئلة والاشكالات وهذه الندوة كما

يظهر من اسمها عبارة عن مجموعة اجوبة عن اسئلة واستفسارات وانتقادات موجهة الى حسينية الارشاد بنحو عام وإلى شخص الاستاد شريعتي على الخصوص، وتتألف من قسمين، الأولى انقذت بتاريخ ١٤/١٢/١٩٧١ م وتحدث فيها أشخاص آخرون ممن لهم نشاط في الحسينية، وحيث أن الحوارات مترابطة، أثرنا إيراد كلمات بقبية المشاركين في الندوة الأولى مع إيراد اسمائهم.

في الحتام ، يشار إلى النقاط التالية:

١ - في كل مورد نضطر فيه لإضافة عبارة ربط أو توضيح فابا

نضعها بين حاصرين من نوع [] .

٢ - في الموارد التي يتعذر علينا تشخيص كلمة (من مقال أو

شريط) أو حتى حدسها يصار إلى وضع العلامة التالية: " .. " .

مكتب تدوين وتصنيف

سلسلة نتلجات الشهيد الدكتور علي شريعتي

آذار / ١٩٨٢ م

علمة بخصوص الترجمة

١ - بالنسبة للقسم الثاني من الكتاب أي محاضرة (أبتاه أماء

نحن متهمون) فلم نقوم بترجمته في هذا الكتاب لأنه مترجم ومنشور من قبل ، وسنصدر عن دار الأمير بكتاب مستقل

٢ - عرّفنا عن ترجمة القسم الأول من الندوة الواردة في الكتاب

لاشتماله على أقوال وكلمات أفراد آخرين، ولم تكن هناك ضرورة ملحة لإيراد كلام الاستاد الشهيد فيها، وذلك أن الندوة الثانية التي خصصت للاستاذ وحده تكاد تكون مشتملة على كل ما أورده في الندوة الأولى فلم نر داعياً لتطويل المسافة على القاري.

٣ - من المناسب التنويه إلى أن الكتاب يشتمل على أقسام

متباينة من حيث الأصل فبعضها محاضرة وبعضها مقالة وبعضها حوار في ندوة، الأمر الذي قد يمس على أسلوب الكلام وبالتالي الترجمة، لذا اقتضى التنويه .

المترجم

الدين ضد الدين

موضوع حديثي لهاتين اللبنتين هو (الدين ضد الدين)

وربما يبدو هذا العنوان غامضاً، وهذا الغموض ناجم عن قساعة هامة لدينا بأن الدين كان دائماً ضد الكفر، وأن المعركة استمرت تاريخياً بين الدين واللادين، فيكون التعبير (الدين ضد الدين) منطقياً هلي قدر من الغموض والغمابة والاستتكار، بينما قد توصلت أخيراً - وربما من قبل ولكن ليس بهذا المستوى من الوضوح - إلى أن الحقائق التاريخية تؤيد عكس التصور الاتف الذكر وأن الدين لم يكن يواجه إلا بالدين، خلافاً للتصور الساذف الذي تحمله اليوم

بذة اشير إلى أن الحديث من التاريخ هنا لا يراد منه المعنى الاصطلاحي الشائع والذي يثر به عادة عن تاريخ ظهور الحضارة أو اختراع الكتابة بل أقصد بداية الحياة الاجتماعية للنوع الانساني على وجه الأرض وهي ضوة ذلك فإن التاريخ الذي اسحدث عنه يعود بداياته إلى ثلاثين أو أربعين وربما خمسين الف سنة، بينما التاريخ بمعنى بداية المدنية واختراع الخط لا يستمدى قدم ستة آلاف عام

بأن التاريخ بالمعنى المختار يشتمل على دراسة الآثار القديمة وعلم

الأرض والاجتماع والبحث في القصص والأساطير القديمة بما يوفر لنا علماً إجمالياً حول حياة الإنسان بأجياله الأولى ومنهجه العياني والتقليدي.

فعلى مدى هذا التاريخ الذي قلنا ان بداياته وصلت اليها عبر الحكايات والأساطير وكلما اقترب الزمن نحونا أصبح في متناول أيدينا مستندات ووثائق بشأنه ، كان الدين هو المدو اللدود المناويء للدين السائد، وذلك أن المجتمعات البشرية في جميع مراحلها لم تغل من دين أبدأ، اي ان التاريخ لم يعدتنا من مجتمع عاش بدون دين، في أي مرحلة من مراحل التطور الاجتماعي، وفي أي نقطة على وجه الأرض.

صحيح، اننا ربما نخطئ في التسوون المتأخرة - حيث سمت مظاهر المدنية والفكر والفلسفة - بأشخاص ينكرون وجود الخالق أو المعاد، غير أن هؤلاء الأشخاص لم يحدث في وقت من الأوقات ان يرتقوا الى مستوى طبقة أو فئة اجتماعية متدنياً، وحسب قول كارل: (فإن التاريخ ضم بين دفتيه مجتمعات عاشت وانقرضت ولكن هذه المجتمعات كانت ذات نظم ديني بشكل عام).

إن المحور الذي يقوم عليه مجتمعنا، هو ايمانه الديني ومعتقداته المذهبية، حتى ان النظم الخارجي للمدن ينعكس حقيقة الوصف الروحي للمجتمع الموجود فيها.

خلال القرون الوسطى، وقبل ظهور المسيح، كانت المدن في الغرب وفي الشرق تتألف من مجاميع من الدور والمباني تجنى على نسق معين وبالاتحاد الى معايير طبقية أو قبلية بحيث يكون لكل قبيلة أو طبقة، محلة محددة تقترب أو تبعد عن مركز المدينة حسب المكانة الاجتماعية التي تتمتع بها تلك القبيلة أو الطبقة، وعلى أي حال فإن قاسماً مشتركاً يمكن ملاحظته في المدن المتحضرة، شرقية كانت أو غربية، كونها تحمل طابعاً رمزياً، أي أن نظم المدينة لا يكون اعتباطياً بل يتطوي على دلالات معينة، وفي الغالب يتم إبراز هذه المدينة من خلال طريقة بناء معيها. طبعاً هذه الحالة آخذة بانزوال والانحراض هذه الأيام. فمدينة طهران مثلاً ليس لها طابع رمزي، بمعنى ان طريقة تنظيم مبانيها وشوارعها لا تستند الى محورية معينة، لا دينية ولا غير ذلك، بينما روعي هذا الأمر في بناء مدينة مشهد، إذ لو أخذنا للمدنة صورة جوية، سوف يتجلى فيها بوضوح الطابع الرمزي للمدينة، حيث تظهر البنايات فيها وكأنها تنحور حول شجرة في الوسط، وهذه الشجرة ترمز الى هوية المدنة وتمثل بطاقتها الشخصية.

والسؤال الذي يطرح الآن، لماذا كان بناء المدن سم بهذه الطريقة الرمزية؟ والجواب واضح، فإن أي حضارة أو دولة أو مدينة لم تكن تقوم في السابق، إلا على أساس ومركز ديني. يمكنكم ملاحظة جميع الكتب الموجودة لدينا حول تاريخ بشوء المدن مثل: (تاريخ قسم)

و(تاريخ يرد) و(فضائل بلخ) و(تاريخ بخارى) و(تاريخ نيسابور) وغيرها . مستعدون ان جميع تلك الكتب تتفق على ارجاع ظهور المدينة الى وازع ديني أو مناسبة مذهبية، كأنهم غير قادرين على التصديق بأن مدناً كبيرة كهذه يمكن أن ترى النور دون أن يكون وراء ذلك عامل ديني أو معنوي، فلا بد من وجود نبي مدفون في المنطقة التي توجد فيها المدينة، أو شخصية دينية صالحة، أو حتى واقعة دينية من ظهور مسجدة أو غيرها. خلاصة الأمر أنه لا بد من افتراض مرور ديني وعقدي لوجود مدينة أو نشوء كيان حضاري وهذا يكشف عن حقيقة معادها أن المجتمعات الانسانية القديمة، وعلى اختلاف انواعها واتساعها، كانت تأتلف على أساس عنصر مشترك هو (روح الدين) الموجودة في ضمير الانسان القديم مهما كان نوع المجتمع الذي ينتمي اليه، طبقياً أو قبلياً، حضرياً أو بدوياً

وفي ضوء ذلك فإن ما نفهمه اليوم من كلمة (الكفر) من عدم الاعتقاد بما وراء الطبيعة والله والمعاد والنسب والمقدسات، ليس له واقع موضوعي، وذلك أن جميع أبناء البشر مستقنون على الايمان بهذه المبادئ والأصول العامة. واما المعنى الذي نفهمه اليوم من (الكفر) بمعنى اللادين فهو معنى مستحدث وطاريء، ويعود الى القرنين أو الثلاث قرون الأخيرة، أي فترة ما بعد القرون الوسطى، وهو معنى قام القرب بتصديره الى الشرق كفضاعة فكرية. في ضوءها أصبح الكفر

بمعنى عدم الاعتقاد بالله وبكل ما وراء الطبيعة والعالم الآخر. بينما اذا ألقينا نظرة على تاريخ الاسلام وتوضوحه القديمة بل تاريخ جميع المذاهب والاديان يتضح لنا أنه من ما جرى الحديث عن الكفر فليس يثنون بذلك الحالة اللا دينية، وذلك ان حالة كمثل لم يكن لها وجود أصلاً

وعليه فالكفر هو نوع من الدين أيضاً، يطلقه أهل الأديان عادة على من لا يستعمل تعاليمهم ولا يدين بديانتههم. ولهذا قد تتقابل الإطلاقات ما بين أهل ديانتين فيعتبر كل منهم الفريق الآخر كافراً

والعاصل انه متى ما ظهرت دعوة دينية، سواء على صعيد تاريخ الأديان الابراهيمية أو على صعيد المذاهب القرية والشرقية وبأى نحو كانت، هناك قضيتان أساسيتان :

الأولى : ان هذه الدعوة الدينية تظهر على رغم وجود الديانة السابقة بل لمواجهتها

والقضية الثانية، ان الديانة القديمة وأهلها سوف يكونون أول من يضنّ الحرب ويعلى المواجهة ضد القادم الجديد.

وحينئذ فمن الآن باراء قضية في حاية الأهمية، من شأنها ان تحل أهم المشكلات المعاصرة على صعيد إصدار الأحكام بواسطة الشخصيات المستتيرة في عالمنا هذا، وتسهم في التحليل العلمي

والتاريخي لأخطر حكم أصدره المستنيريون حول الدين، والفاطحي بأن الدين يتنافى مع الحضارة والتقدم وإرادة وحرية الشعوب، أو هو في أحسن الأحوال غير قادر على مواكبة هذه الأمور.

وهو حكم لم يأب جزافاً بل على أساس مفردات واقعية وأرقام علمية وتجارب تاريخية متكررة. إن هذا الحكم ليس حكماً تصديقياً ناجماً عن حقد وكراهية أو جهل مطلق، وإنما هو حكم مستند إلى مبررات علمية ومشاهدات عينية ووقائع اجتماعية وتاريخية مدعومة بأدلة وأرقام.

ومع ذلك، فإننا اعتقد أن هذا الحكم غير صائب، وذلك لأن أصحابه وقعوا في الخطأ ذاته الذي وقعنا نحن - أنصار الأديان - فيه، وذلك في عدم الفرز بين الدينين، وتخيّل الموازنة بين الدين واللادين، فنبيل أولاً إلى إثبات الدين بشكل إجمالي عام ومن ثم تنتقل إلى إثبات ديننا بشكل خاص، وهذه منهجية خاطئة في البحث. هذا الخطأ وقع فيه المصنفون للأديان في أوروبا في القرنين الأخيرين خاصة القرن التاسع عشر حيث بلغت فيه موجة المناهضة للدين أوجها في أوروبا. والسبب عدم قدرتهم على الفرز بين شكلين من الدين مع شدة الاختلاف بل والتناقض والتخاصم الدائر بينهما على الدوام، وبالتالي أصدروا حكمهم بناء على وقائع وأرقام حسية وواقعية لمسوها من خلال النمط القائل من الدين، وحيث لم يكونوا قادرين على إدراك النمط الآخر

عصموا الحكم على الدين بطلق اشكاله دون أن يشعروا بأن الحكم الذي أصدروه ينطبق على نصف الحقيقة ويهمل نصفها الآخر، بل وتنحى عليه، وذلك لأنه ثمة نمط آخر من الدين يختلف اختلافاً جوهرياً عن النمط الذي اصطدموا به وبممارسات أتباعه، وهذا الاختلاف ينسحب على جميع خصائص وصفات كل نمط بحيث لو أردنا إثبات صفة لأحدهما تنحى تنحى عنها الآخر.

وأود الإشارة هنا إلى نقطة في غاية الأهمية، وهي أنني ربما ألتمأ إلى استخدام نفس المصطلحات المتداولة بيننا، ولكن أعني منها معنى غير المعنى الرائج والشائع، لذا أرجو من الأخوة أن لا يسارعوا إلى فهم المصطلحات وفق ما هو مرتكز في دهانهم ومن ثم يصدروا أحكامهم على خلاف المعنى الخاص بي والذي أريده من الاصطلاح الوارد في كلامي، وسوف ألجأ إلى تحديد المفاهيم التي أعنيها من المصطلحات التي أكثر استخدامها، تحسباً من وقوع لبس أو غلط بين معنيين متباينين تماماً، وهذه الاصطلاحات هي: الكفر والمشرک وصياده الأوثان.

الكفر

الكفر بمعنى السر والتغطية، وهو من الزراعة حيث تزرع العبة

ومن ثم تنطى بالتراب. ووجه الاقتباس أن الكافر ينطى على الحقيقة الناصبة في قلبه لأسباب وعمل كالعجل والتمهازية. والكفر ليس بمعنى تطية الدين باللادين بل بمعنى تطية الدين بواسطة دين آخر

الشرك

هل يعني الشرك عدم وجود الإله؟ كلا. إذ المشركون لهم آلهة أكثر مما! المشرك ليس هو الشخص الذي لا يؤمن بالله إذ لا وجود لشخص كهذا

ومن المعلوم أن الذين وقفوا بوجه عيسى وموسى وإبراهيم هم مشركون وليسوا ملحدين. فمن هم المشركون إذن؟ بالطبع ليسوا اشخاصاً لا يؤمنون بالرب، بل على العكس هم فئة يؤمن أفرادها بأرباب كثيرين، وعليه لا يمكن من الناحية العلمية إطلاق وصف المشرك على أفراد عديدي الاعتقاد الديني، وذلك لأنَّ المشرك يعتقد بوجود معبود، بل أكثر من معبود، وهو يؤمن بمبوديته لهذا المعبود ويعتقد بتأثيره في مصيره ومصير العالم الذي يعيش فيه، وهو يمتلك نظرة إلهية مثلما لدينا تلك النظرة

وعليه فمن الناحية الحسية يمدُّ المشرك انساناً متديناً وإن أخطأ الهدف من حيث البصديق وسلك طريقاً مغلوطاً. وواضح أن الدين

المنط شيء واللادين شيء آخر يختلف عنه اختلافاً جوهرياً. وحينئذ يمكن القول أن الشرك دين، بل هو أقدم أنواع الأديان في حياة المجتمعات البشرية

عبادة الأوثان

إن عبادة الأوثان لون خاص من ألوان الشرك، وليس شيئاً مرادفاً للشرك، فالشرك عنوان لدين معروف على طول التاريخ، وعبادة الأوثان كان شكلاً من أشكال هذه الديانة في إحدى مراحلها التاريخية. ولك أن تقول إن عبادة الأوثان هي فرقة من فرق الشرك يتميز اتباعها بأنهم يصمون التماثيل والأصنام إيتا لكي يعبدوها أو لكي يتقربوا بها إلى المعبود الأصلي ويعتبروها واسطة بينهم وبينه، وعلى أي حال فإنهم يؤمنون بأنَّ له قدرة تأثير على مجرى الحياة بشكل أو بآخر

غير أن القرآن عندما يهاجم (المشركين وعبدة الأوثان) وينتقدهم، يستعيد من الفاظ عامة وذلك تحسباً من إقناع الناس بالخطأ الذي وقعوا الآن فيه، ولكي لا يفهم من القرآن أن الإسلام قام لمواجهة خصوص هذا النمط من الشرك بالله -نمط عبادة الأوثان- بل أن النهضة الدينية التي قادها النبي تستهدف الإطاحة بكل مظاهر الشرك مهما كان

شكله ولونه. شأنه في ذلك شأن سائر الأديان والحركات التوحيدية

إننا نقع في وهم كبير عندما نتصور أن الطرف المقابل لنا (دين الشرك) يتجسد في شكل واحد هو عبادة الأصنام، في حال أن قوله تعالى: ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾ يستبطن - بنفسه - الرد على هذا الوهم الابتدائي، وذلك أننا لو راجعنا التاريخ بطوله والجغرافيا بعرضها نجد أن البشرية لم تقتصر على نحت الصخر ومن ثم عبادته، بل نحتت لها مختلف الأمور، مادية أو غير مادية، ثم تعلقت بها إلى حدّ العبادات، وهذه ظاهرة إنسانية عامة عانت منها المجتمعات البشرية وتعالى إلى الآن بصور مختلفة، يشكل عبادة الأوثان نموذجاً منها طُبق وما زال يطبق في بعض المجتمعات الجاهلية العربية والأفريقية

﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ﴾ عبارة عن مبدأ عام يستضمن تعريفاً شمولياً لأسلوب العبادة في دين الشرك، ذلك الدين الذي ظل يواكب دين التوحيد خطوة بخطوة على مرّ التاريخ، ولم يتوقف أو يستقرص لافي عصر النبي إبراهيم ولا بعد ظهور الإسلام، بل ما يزال قائماً وسيبقى

خصائص دين الشرك

(هذا بحث في تاريخ الأديان، وسوف أبذل سعيي لاستخدام

مصطلحات مأثورة ومتداولة على صعيد الإسلام وتراثنا الأدبي،

هي -حدثني المواجهة يقف دين التوحيد وعبادة الله- الله بمعنى العلم والإرادة والعاقبة والتدبير، هذه هي صفات الرب في جميع الأديان الإبراهيمية، الخالق لأنه خلق هذه العالم بأسره، والمدير لأن حركة هذا العالم تجري بإرادته. وهو مريد له مطلق الحرية في الحكم على الوجود، وعالم لأنه يشرف إشرافاً تاماً على كل ما في الكون في الوقت نفسه فإن هذا الرب حدّد هدف الخلق وعاية وجود العالم، ولقد كانت عبادة هذه القوة المطلقة تمثل الفعّار الأعلى الذي رفّته جميع الأديان الإبراهيمية، وعرف به إبراهيم شخصياً، وهذا الشمار يعني دعوة جميع بني البشر إلى عبادة قوة واحدة نابعة في الوجود، والسير نحو هدف واحد للحلقة، والإيمان بوجود قدره واحدة مؤثرة في كافة أنحاء الوجود والاستناد إليها في جميع ساحى الحياة

التوحيد

إن الدعوة المعروفة تاريخياً بدعوة التوحيد، لها بعد مادي يرتبط بهذا العالم، ويتمثل بأن من يؤمن بأن هذا الكون بأسره مخلوق بواسطة قوة واحدة، وإن هناك قدرة واحدة تتحكم بأطراف هذا الوجود من مجتمع إنساني أو حيواني أو نباتي أو حتى الجمادات، دون أن يؤثر في هذا الوجود شيء آخر، آنذاك يكون من شأن هذه الرؤية التوحيدية

الالهية ان يكون لها انعكاس على صعد الحياة الانسانية، لأن من يؤمن بأن الكون عبارة عن امبراطورية واحدة يحكمها مصدر قوة واحد، وان البشر خاضعون للإرادة واحدة ويتمنون اني جنس واحد ولهم الله واحد تصمحل أمامه كل الوجودات والمظاهر والقوى الأخرى، أن من يؤمن بذلك سوف ينظر الى هذا العالم نظرة كلية يراه من خلالها كأنه جسد واحد تتحكم فيه روح واحدة، وحين ينظر الى البشر يراهم أفراداً متساوين ومتماثلين لأنهم خلقوا بيد واحدة وعلى وتيرة واحدة.

هذا الدين التوحيدي هو أحد الديانتين اللتين اشترت لهما، وهو يقوم على أساس عبادة رب واحد والايمان بقوة واحدة مستنفدة في مصير المجتمعات الانسانية على طول التاريخ وكما قلت فإن من لوازم توحيد الاله توحيد العالم ومن لوازم توحيد العالم توحيد الانسان من جهة أخرى فان هذا الاعتقاد البشري يمثل ميلاً فطرياً نحو عبادة القوة الواحدة والايمان بالقداسة - بحسب تمييز دوركايم^(١) - أو الايمان بالقيم بالتمييز القرآني والدليل على فطرية هذا الاعتقاد

(١) دوركايم (١٨٥٨ - ١٩١٧)، عالم اجتماع فرنسي معروف، كان استاذاً في جامعة أسوريون، كان دوركايم يعتقد أنه يعمّن على علم الاجتماع أن يدرس المجتمع كنوع خاص من الواقع الروحي. تختلف قوائمه عن قوانين علم النفس الفردي. له عدة مؤلفات منها: «حول تقسيم العمل الاجتماعي»، «قواعد المذبح في علم الاجتماع»، «الأنشكال الأولية للحياة الدينية» انظر: الموسوعة الفلسفية، ص ٦٠٠ (مترجم)

وفطرية كل اعتقاد آخر هو دوم هذا الشعور وشموليته لجميع الافراد لجميع الأزمان ما يدل على أنه امر غريزي. ولو أردنا أن نستقصي في اهمى التاريخ لما وجدنا أمة عاشت بلا دين ولا عبادة

إن هذا الشعور والحس التبعدي الملموس في هذا الدين يترجم الى معرفه بهذه القوة المشرقة على العالم، وبالتالي التعرف على العالم كموجود حي قادر حساس له إرادة وغاية وهدف. مصافاً الى ان هذا الشعور التبعدي التوحيدي سوف يتجلى تاريخياً في واقع اعتقاد يوحده البشرية بشتى ألوانها وأقوامها وطبقاتها وأعراقها ومن ثم وحدة الحق والقيمة والمرلة

وعلى الخط الآخر، سيقود ديس الشرك أصعابه الى نتيجة معاكسة فيتمول الشرك في كل حقبة زمنية الى عددٍ لدود لأديان التوحيد بها جمها او يناوئها ويحول دون اتساع الرقعة الجغرافية او السكانية التي تمتد عليها.

لا توجد فرصة للتطرق الى تاريخ الأديان بتفصيل يستعرض مفردات وحقائق هذا الموضوع بشكل تام، غير أن بمقدورنا بحث ديس الشرك من خلال دعوات الأنبياء العظام، وفي هذا السياق تؤكد لنا القصص الواردة في التوراة والكتب المرتبطة بها وكذلك قصص القرآن والروايات ان أعتى قوة جاهلت رسالة النبي موسى وألحقت بها أشدّ الضربات هي حركة (السامري) و(بلمع بن باهورا)

السامري

بعد نجاح موسى في إقناع قومه بالتوجه لمباودة الله الأحد وهجر عبادة الأوثان والحمل والوجودات الأسطورية التي كانت تمثل جميعاً مظاهر لدين الشرك آنذاك، في ذلك الوقت ظهر السامري ليحيي من جديد سكة عبادة العجل بأن اغتتم فرصة غياب موسى عن قومه فصنع لهم عجلاً ودعاهم لمباودته

ذلك الرجل الذي نهت عجلاً بعبدة أن يعبد به إسرائيل بدلاً من (يهوه) والله! لم يكن إنساناً لا دين له، بل حتى العكس كان مسلماً للعقيدة ودعية لدين!

بلعم بن باعورا

هل كان هذا الرجل فيلسوفاً مادياً أو ملحداً دهرياً أو شخصية مثل مترلينغ أو شوبنهاور^(١) أكلاً، بلعم بن باعورا كان صاحب أعلى مقام ديني في زمانه، وكان كعبة المتدينين وعموم الناس في ذلك الوقت، ومع ذلك فقد نهض لمعارضة دعوة موسى النبي مستغلاً إيمان الناس

(١) آرثر شوبنهاور، فيلسوف ألماني، ولد عام ١٧٨٨، وتوفي عام ١٨٦٠. من أشهر كتاباته عالماته كإرادة وتصوره. (الترجم)

وتقتهم به، ما أدى إلى انزال ضربات مؤثرة بدين التوحيد ورسالة موسى

الفريسيون

انظروا إلى عيسى! من كان سبب معاناته الطويلة والمعائب التي ظل يتعرض لها إلى اللحظة الأخيرة، و -يزعمهم - الإيذاء التي تعرض لها، وغير ذلك من الممارسات المسيانية والتهم والافتراءات التي وجهت إليه وإلى أمه؟ من كان وراء ذلك سوى الفريسيين، أتباع وانصار الدين القائم في ذلك الزمان، لم يكونوا مادييين ولا رنافة ولا دهريين، بل هم أناس ظفروا بمتقنون بدين الشرك الذي جاء عيسى لاجتثاث جذوره

مشركو مكة

وانظروا إلى بني الاسلام، هل كان الأشخاص الذين عقدوا لواء المعارضة والمساواة له وسأوا سيوفهم عليه في بدر وأحد وهراون والطائف ومكة، هل كانوا بدون دين أو لم يكن لهم حسن ديني؟ كلا! لا يمكن القول على شخص بينهم كان بهذه المواصفات، كانوا جميعاً أصحاب عقيدة، حقيقة أو ادعاء، وكان شعارهم القضاء على النبي، على

محمد بن عبد الله وأتباعه، بدرجة انتهاكهم لحرمة بيت إبراهيم، ولأنهم صلبوا من دين آبائهم وجرعوا الأصول والمقدسات، أنهم يريدون القضاء على هذه الأرض المقدسة (مكة) وتعطيل الأصنام التي هي الوسطة بين الله وعباده، وعليه الشاعر الذي رحمت قريش والعرب من ورائها ضد الاسلام والتي هي شعار الدين ضد الدين.

ومن بعد النبي، اسمر هذا الشعار يرفع ولكن بشكل مختلف، هذه المرة يوجه علي واتجاهه الذي كان يحمل روح الاسلام الحقيقي ويسعى للحفاظ عليه من الذي واجهه علياً هل هم الكفار ومن ثم يكن لهم دين، وهل كان الشعار المروج يدعو الى انكار وجود الله، أو ان الاعتقاد بسط آخر من الدين في مواجهة النسط الأصيل، هو الذي أدى الى ثوب المعركة - تاريخاً - بين آل النبي وآل أمية ومن بعدهم آل العباس

ان عبادة الله هي أبرز خصائص هذا الدين الابريهيمي - وانما اصطلاح منه بالابراهيمى كيبا تحسب لكم مهمة يوضح - فعلى مر التاريخ كان ثمة دين توحيدى يدعو الى عبادة معبود واحد هو خالق كل الكون والمهيم على كل شي - فيه هو الذي يرسم الطريق للبشرية جمعاء ويحدد هدف التاريخ ويصوغ القيم الإنسانية على معيار محدد، وهذا الدين ينفق بوجه كل الحركات الداعية لعبادة الطاغوت من أياها آدم الى النبي الخاتم والى نهاية المطاف البشري. ويصورهم ينفق عبدة

الطاغوت - على اختلاف أصفانهم - بمواجهة هذه الحركة الاحتفادية التي تدعو الانسان الى الاتقياد لتواميس الكون الكبرى والتسليم بأراء الإرادة الإلهية الحق التي رسمت طريق الخلق وحددت لها هدفها العظيم وغايتها القصوى مستقلة بأفها هؤلاء الصبية لا يألون بجهداً بالوقوف بوجه دعوة كهذه اسمها (الاسلام)^(١) ويتمكدون وصح المراقبين في طريق أهدانها

بيد ان هذا الدين الذي يد - الى الاتقياد المطلق لإرادة الرب - هو - في الوقت ذاته والسبب ذاته - يدعو الى الثورة والطغيان على كل ما سواه، وكل خطاب فيه الى عبادة الله ينجز تلقائياً الى سب عبادة الطاغوت. وعلى الجانب الآخر يحصل الشيء ذاته مع دين الشرع حيث يدعو أتباعه الى الطغيان بوجه ناموس الكون الاعظم والتمرد على الإرادة الالهية ورفض دعوة الاسلام، وذلك امتداداً لدعوته الى جمهورية القوى والخطاب الأخرى التي تجسد بنفسها مفهوم الأكلية المتعددة

الشرع يعني الطغيان على اليهودية ش، ولكنه في نفس الوقت يعني اليهودية والتسليم للأصنام (بمنهاها انشامل لكل ما يتخذ البشر آلهة زوراً وتزويراً بمعونته جهل الناس وظلم انصاكنين، ان عمل

(١) القرآن يصرح بأن الاسلام هو اسم لجميع الأديان الحق، فإن الدين عند الله الاسلام

الطاغوت يتجلى في الظلمين بوجه القوة العظمى المهيمنة على عالم الكائنات، وأيضاً في التسليم بوجه (ما تتمنون) وهذه (ال)ما تتمنون) شاملة لكل ما هي شأنه ان يكون صنماً يعبد من لاث وعري أو مأكلة ورأسمال أو دم وعري، ان هذه جميعاً مبادئ تطبيقية لمفهوم الطاغوت الذي يقف في مواجهة الله.

ومن خصائص دين التوحيد أيضاً الطابع النقدي الهجومي الفوري الذي يتصف به، وذلك في مقابل الطابع التبريري الذي يشكل السمة الاكثر بروزاً من بين السمات الأخرى لدين الشرك بمفهومه الأوسع

ماهية الدين الخوري

الدين الخوري، هو دين يفتدي اتباعه ومعتقديه برقية تقنية خيال كل ما يحيط بهم من بيئة مادية أو معنوية، ويكسبهم شعوراً بالمسؤولية تجاه الوصع القائم يحصلهم يفكرون بتغييره ويسعون لذلك فيما لم يكن مناسباً

ان السمة الاساسية لهذا الدين - الدين التوحدي - انه يتعادي تبرير الوضع القائم تبريراً دينياً ولا يؤمن ببدا الرصوع للأمر الواقع أو اعتماد موقف اللامبالاة خيال ما يحيط به. لاحظوا حركة الانبياء،

سوف يتضح لكم ان الاديان التوحيدية، خاصة في مراحل ظهورها الأولى أي فترة نقائها عن الشوائب والتشريف، تتسم صادة بطابع وانفس للوضع القائم وزعة ثورة وتتمرد على كل جور وفساد، وهذا التمرد والظلمين يأتي متصاحباً مع العبودية والعصوع لموجود الكون، والاقتصاد لقواس الوجود التي تتعلّق فيها الارادة والقدرة الإلهية.

أمموا النظر في جمع الأدباء، موسى مثلاً بعض تأخر بوجه الخطاب الثلاثة، فارون اكبر رأسمالي في زمانه، ويلم بين باعورا ممثلاً لأكبر شخصية دينية انحرافية، وفرعون الذي بيده القدرة السياسية لذلك العصر

والآن ما هو ذلك الوصع الموجود؟ انه المذلة التي طوّقت رقاب الأسباط بواسطة الأقباط، في واحدة من اجلى ممارسات التمييز العرقي حيث كان الأقباط يتصرفون مع الأسباط من منطلق الشعور بالفرقة والاستعلاء.

انها حركة ثورية لمواجهة وضع اجتماعي طبقي حاسد يسوّغ لبعض الطبقات استغلال الطبقات الأخرى وتهدف هذه الحركة الى استبدال الوصع القائم بوضع آخر مثالي وتحقيق هدف مجدّد للحيات وهو تحرير قوم من الأسر وارشادهم الى الارض الموعودة وتأسيس مجتمع يقوم على دعامة المقدمة والرسالة الاجتماعية الراضة لسبادة

الطاعات، والتضياء على الطواعيت الذين يبرزون حتى أنواع المنصرية والتميز، ومن ثم اقرار مبدأ التوحيد لكي تتجلى فيه الوحدة البشرية والعدالة الاجتماعية.

ماهية الدين القيروني

يسمى دين الشرك دائماً إلى تبرير الوضع القائم عبر ترويع المعتقدات ذات الصلة بما وراء الطبيعة ويسمى إلى بحريف الاعتقاد بالعماد والمعدسات والقوى الخفية ويشوه المادي، القائدة والدينية ليقع الناس بأن وضعهم الراهن هو الوضع الأمثل الذي يجب ان يرضوا به لأنه مظهر لإرادة الله تعالى وهو المصير المحتوم الذي كتبه الله عليهم

ان القضاء والقدر بالمعنى الذي نفهمه اليوم هو من مخلفات معاوية وإرث منه فالتاريخ يروي لنا ان الاعتقاد بالقدر والقول بالتميز أمور ابتدعتها حكاه بني امية ليسلبوا من المسلمين الشعور بالمسؤولية ويحرموهم -من خلاله- من كل أنواع النقد ويقتلو روح المبادرة فيهم لأنّ انجبر على الانصياع إلى كل ما هو موجود والخصوع لكل ما هو كائن في حين كان اصحاب النبي (ص) يشعرون دائماً بالمسؤولية الاجتماعية ويأخذونها على عاتقهم كهمة أساسية ودائمة.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين يتبادران إلى أذهاننا بمصاهما اميتدل الذي لا يسما التحدث عنه في الأوساط الفكرية المتقدمة، هما عبارة أخرى عما يستبّيه المنكر الاوربي، اليوم والمسؤولية الانسانية أو «مسؤولية المبدع» أو «مسؤولية المستقب» ماذا تعني المسؤولية المبحوث عنها هي الفللفة والفن والأدب في هالما اليوم؟ أنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمعناه، غير انب مصحفاً منى هذين المبدأين بحيث اصبح العمل بهما عملاً مبرهنناً وسهلاً

استعوار دين الشوك

ان رسالة دين الشرك وهدفه كما ذكرت آنفاً هي تبرير الوضع الموجود، ما هو المقصود من تبرير الوضع الموجود؟ نحن نجد أن أسماء المجتمعات البشرية قد صُنّوا في التاريخ إلى الشريف والوسيع والسند والمبد والمفيد والمستفيد، وبرى الشرائع والطبقات الانسانية قد قسّمت إلى فئات ذات ماء وتراب وعرق مذهبي وفئات أخرى غائقة لكل هذه المراتب، وشعوب ذات افضلية دائمة على الشعوب الأخرى وطبقات اجتماعية مفضلة على الطبقات الأخرى وقبائل مرمجة على القبائل

الأخرى. هذه المعتقدات السائدة في حياة الناس هي في حد ذاتها جاءت لتبرّر الوضع الموجود

يجب أن يكون هنالك تعدّد في الآلهة وتعدّد في أقاليم الالهية لكي يتمحق ويستمر التمدّد القشري والطبيعي والتقبلي والسرقي في المجتمع وفي العالم.

قد يستطيع بعض الناس أن يحرموا البعض الآخر بالقوة ويحصلوا على امتيازات حقوقية واقتصادية واجتماعية غير أنهم لا يستطيعون المحافظة على هذه الامتيازات بمطلق القوة. هنا يرى الآخر انه يحصلون دائماً على هذه الامتيازات في التاريخ ولكنهم محفوفون في المحافظة عليها

وهنا يعبث الدين - أي دين الشرك - دوره الأساسي في حفظ هذا الوضع، وتمثل مهنته هنا هي إخصاخ الناس واقتناعهم بأن هذا الوضع هو تجسيد لمشيئة الله واراادته وأن انتماء الفرد للطبقة الوضيعة لم يكن بسبب وصاعة ذاته محسب بل لأنّ ربه وإلهه وخالفه هو أدنى مرتبة من إله العرق الاخر وأقل شأناً من وث الطبقة الأخرى

قاعدة حماة دين للشرك الاجتماعية

عدما يتم التمييز والاختلاف الطبقي والعرقي في المجتمع يأخذ

دين الشرك على عاتقه رسالة تكريس هذا الوضع وتثبيتته. ولذا ترى في التاريخ أن مؤسسي دين الشرك والمخاضين عليه، هي زمرة الطبقات الاجتماعية العالية بل قد تراهم أسمى درجة وأغنى حالاً وأكثر هيمنة من الطبقة الحاكمة

استظروا إلى رجال الدين الممجوس إيمان الحكم الساساني ولاحظوا هيمنتهم على العائلة المالكة والمسكر

لاحظوا التساوية في أوروبا والحاخامات في قوم بني اسرائيل والسحرة والكهنة وزعماء الدين في القبائل الوثنية في أفريقيا وأستراليا انكم ترونهم جميعاً مع الهيئة الحاكمة يدأ في يد وكنتأ إلى كنف، وقد ترونهم أحياناً يهيمون على الهيئة الحاكمة أيضاً

فقد تصل نسبة الاملاك التي كانت في حوزة التساوية في أوروبا إلى أكثر من سبعين بالمئة، وفي العصر الساساني كانت أملاك علماء الدين الممجوس والأراضي الموقوفة على المعابد والأماكن المقدسة تزيد أنحياناً على أراضي الاقطاعيين والمالكين الكبار

وخلالاً لما ننصو، نرى الانبياء - الانبياء الذين يعتقد بهم - تراهم يعمون بعزم بوجه الاديان التي يكررت - غير التاريخ - الوضع الظالم المهيمن على حياة المجتمعات في القرون الحالية من التساحية الاقتصادية والاخلاقية والفكرية

العامل الرئيسي في دين للشرك

إن العامل الجذري الذي يبتني عليه دين الشرك هو الاقتصاد الذي يقوم على أساس تملك فئة قليلة من الناس وحرمان الأكثرية وهذا العامل يحتاج إلى الدين لحفظ نفسه وإدامة وجوده وتبرير بقائه وديمومته. فإن الدين هو العامل الذي يتمتع بقدرة عالية على احتضار الفرد واقتناعه بالذل والهوان. إن هذا الدين - أي دين الشرك - هو الذي أخذ على عاتقه دائماً مهمة تبرير الوضع الموجود. كيف؟

أولاً، بترويج الاعتقاد بتعدد الآلهة ليهتدق الناس بأن تعدد الشعوب والقبائل والطبقات هو أمر مرتبط بالمشنة الإلهية وعالم الغيب

ثانياً، ولكي يحافظ دعاة هذا الدين على الامتيازات التي امتازوا بها على الطبقات الأخرى فأنهم كانوا دائماً من دعاة الأنسة والاحتكار

الدين الألفيوسي

العوامل الأساسية لدين الشرك - كما يمددها الإلهاديون بحق - هي الجهل والخوف والمالكية والتميز الطائفي إن هذه الأمور

التي يذكرها الإلهاديون هي حقائق لا يمكن إنكارها وإن قبولهم «الدين أفيون للشعوب جاء ليخضع الناس للذل والهوان والجهل والتخلف والمصير المجهول» هو قول صحيح لا يمكن إنكاره والنيل منه

المرجئة في التاريخ

المرجئة في التاريخ يبرزون جريمة كل مجرم في المجتمع الاسلامي. انهم يتساءلون أولاً: لماذا يضع الله الميزان يوم الحساب؟ ويحييون على هذا السؤال: بأن الله يضع الميزان للتدقيق في حساب علي ومعاوية

أي لو كان الله تعالى هو الحاكم والمدقق يوم القيامة، فما شأنك انت؟ وهل يعتريك من سيكون على حق ومن سيكون على باطل؟ اذن عليك ان تعيش حياتك كيفما تشاء ولا تشغل بالك بهذه الأمور التي لا تنيلك.

حركة دين الشرك

إن المسار التاريخي الذي ينتهجه دين الشرك يتم بأحد النحويين

أدناه:

الأول: الشكل المباشر الذي نلاحظه في تاريخ الأديان: أي عبادة المخلوقة ثم عبادة السلامة أو الرواية الخاصة ثم عبادة القوة الغيبية الخفية (مانا)^(١) ثم عبادة أرباب النسخ ثم الاعتقاد بتمدد الأكمة فالاعتقاد بالأرواح وأخيراً الاعتقاد بالله وعبادته هذه هي سلسلة دين الشرك في تاريخ الأديان، وهي في الوقت نفسه تجسّد جوهر الاشكال الواضح الذي يرد على هذا الدين

الثاني: الشكل الخفي الذي انتهجه دين الشرك وهو أحط وأسوأ من الشكل الأول. وهذا الشكل من الدين هو الذي ألحق ألدخ بالمسائل بكيان الانسانية ووجه الحقيقة على مر التاريخ

ففي هذا الشكل يختفي الشرك وراء نقاب من التوحيد

عندما يمت الأنبياء الداعون إلى التوحيد، ترى دين الشرك يصدى لهم ويقف في وجههم وعندما يتكسر الأنبياء في هذه الوجهة، تستمر حياة دين الشرك وانصاره وخلفائهم بشكل خفي. فأتا نرى لمع بن داود الذي هزم في مواجهة موسى يظهر على شكل البساخامات في دين موسى وعلى شكل التريسين الذي قتلوا عيسى (ع) فالطبعة التي جالبت عيسى (ع) وتواطأت مع قهر ملك الروم الوثني للقضاء على دين التوحيد واتباعه هي نفسها التي كانت تعقب في وجه

(١) المانا، قوة تأثير غيبي في أدبيات الديانة السامرية وهي ديانة قريبة من الزردشتية

موسى (ع)، السامري ولهم بن باهوتا ظهوراً في التاريخ مرة أخرى غير أنها ظهوراً هذه المرة بزي القساوسة الذين ارتكبوا باسم الدين في القرون الوسطى جرائم يكتسب وجه المخلوق والشر لقد سجلوا تلك الجرائم باسم الدين - الدين الذي ينتهي على الذهب والولاء والوفاء والصبر والمحو والمحبة - وباسم عيسى - مظهر السلام والمحو والشفقة في التاريخ - هل كان هؤلاء انصاراً لدين عيسى (ع) حقاً؟ هل هؤلاء هم الحواريون؟ أم أنهم أنصار دين الشرك والتريسين مبنينهم ظهوراً هذه المرة بري القساوسة لكي يتسللوا إلى دين موسى من الداخل ويعيدوه إلى حظيرة الشرك؟! وقد فعلوا!

أذن فالكلام الذي أطلق في القرن التاسع عشر بأن الدين هو أفيور للشعوب وأنه جاء ليروض الناس على الحرمان والشقاء في هذه الدنيا باسم الاعتقاد بما بعد الموت وشعهم بأن كل شيء يحدث هو من عند الله وبمشيئته وأن كل محاولة لتغيير هذا الوضع هي محاولة لإرادة الرب ومشيتته وعصياناً لأمره، هو كلام صحيح بعد ذاته، وكذلك قول علماء القرن الثامن عشر والناسخ عشر بأن الدين هو وليد جهل الناس وعدم اطلاعهم على الحقائق والعلوم أو قولهم: «إن الدين هو وليد مخاوف الناس» أو قولهم: «إن الدين وليد التمييز والحرمان في عهد الاصلع».

ولكن أي دين هذا؟ أنه الدين الذي هب دوماً على التاريخ -

سوى حقب زمنية قصيرة لمحت كالقرق ثم انطفأت... إنه دين الشرك مهما كانت أسماؤه ومسمياته، حتى لو سمي بدين التوحيد أو دين موسى أو دين عيسى أو اصطلاح عليه بخلافة النبي أو خلافة بني العباس أو خلافة أهل البيت أو غير ذلك من الأسماء والمسميات. إنه دين شرك ودعاة هذا الدين مشركون جازوا بلباس الدين وباسم الدين والمعاهد والقرآن ألم يرفع اتباع هذا الدين القرآن على رؤوس الرماح؟ إن الذين رفعوا القرآن على الرماح هم القريشيون أنفسهم الذي جابهوا نبي الاسلام للبقاء على عبادة اللات والعزى إلا أنهم لم يقدروا على حفظ ذلك الوضع فتسللوا بين صفوف المسلمين ليرفعوا القرآن على الرماح ويضربوا علياً تلك الضربة الفاضية، تلك الضربة التي خسروا بها الله والرسول.

لقد حكم دين الشرك باسم الاسلام وباسم خلافة الرسول وآله وباسم القرآن كما حكم في الفرون الوسطى باسم عيسى وموسى اللذين ارسيا دعائم دين التوحيد في التاريخ.

إن الدين البربري والدين التخديري والدين الرجعي والذين الذي لا يهتم بأمر الناس هو الذي حكم المجتمعات البشرية عبر التاريخ ادن لابد أن تصدق الذين قالوا إن الدين هو وليد المحاول والاقطاع وأنه تخديري ورجعي لأنهم استنبطوا ذلك من التاريخ. غير أنهم لم يعرفوا الدين حق معرفته لأنهم لم يكونوا متخصصين بمعرفة

الدين بل كان حقل تخصصهم التاريخ وكل من يرجع التاريخ يرى هذه الحقيقة متجسمة في الأديان جميعاً، سواء تلك التي حكمت باسم دين التوحيد أو تلك التي حكمت بصراحة باسم دين الشرك.

لقد قامت جميع الخصومات والأسماء المرادفة للفظ الجلالة «الله» في الأديان الإبراهيمية وفي أديان الشرك أيضاً ورأيت أن هذا الدين - أي دين الشرك - هو حقاً وليد خوف الناس وجهلهم. لماذا؟ لأن اتباع هذا الدين (أي أولئك الذين يروجون دين الشرك) يخشون دائماً نقطة الناس ووعيهم. أنهم يريدون أن تكون العلوم والمعارف مقصورة على الأشياء الثابتة والدائمة ويكون هذا أيضاً خاصاً بهم ولا يبيحوا بسرره لغيرهم. وذلك أن دين الشرك سيتلاشى بتطور العلم واتساع رفقته لأنه يقوم على أساس الجهل والامية. نادا وعى الناس وبسطت روح الانتقاد فيهم وطالبوا بالمدالة والفسط وانتهت الامسل في سفوسهم ستترزل أركان هذا الدين، هذا الدين كان على من التاريخ محافظاً على الوصح الموجود، وكانت هذه مهمته قبل عهد الاقطاع وبعدة، في شرق العالم وعربه.

إن الصفات والأسماء الالهية كالهية والهيمنة والعجروت ترجع وتفسر في أديان الشرك دائماً بمعناها الاستبدادي في حين نجد جميع الأسماء والخصومات القديمة في الأديان الإبراهيمية حسي تلك التي يرجع تاريخها إلى أكثر من ألفين أو ثلاثة آلاف سنة تتبثق من أحد أمرين:

الأول. المشرق والجمال وعبادة الجلال والجمال المطلق

الثاني: الأبهة، السيادة، الكرم، الحكومة والحماية. وعليه، فمن يزعمون بأن الدين الذي حكم العالم عبر التاريخ هو وليد جهل الناس وجوهرهم من الكوارث الطبيعية، كلامهم صحيح بعد ذاته

لقد كانت الأديان الإبراهيمية وليدة رغبة الإنسان وحاجته إلى هدف معين وحكومة خاصة وميله النظري إلى الفصوح والغشوح أمام الجمال والكمال والجلال المطلق. فقد كانت هذه الأديان تلبي جميع حوائج الإنسان - النفسية والفكرية والاجتماعية - وقد تصدى أسبياء هذه الأديان - الأديان الإبراهيمية - لجميع لقوى الحاكمة سواء المادية منها أو الاجتماعية أو المعنوية وحظمو جميع الأصنام سواء الأصنام المنطقية - كما يستهينها غراسيس بيكون^(١) - أو الأصنام المسجومة أو الأصنام الأخرى، الاقتصادية منها أو المادية، وقد تصدى هؤلاء الأنبياء لجميع مظاهر دين الشرك - الدين التبريري - وبهروا بمسؤولية تغيير الوضع الموجود داعين أتباعهم إلى استبدال هذا الوضع بالمعادلة

(١). ولد في ستراند، على مقربة من لندن عام ١٥٦١ وتوفي في لندن عام ١٦٢٦، وضع دائرة معارف واسعة سبت على أساس الملاحظة التجريبية والسهج الاستقرائي، ورمت في التحليل الأخير إلى وضع الطبيعة في خدمة الإنسان له العديد من المؤلفات منها «هي حكمة الأقدمين»، «معتقدات لتاريخ الطبيعي والتجربي» (انظر: معجم الفلاسفة، جورج طرابيشي، ص ٢٢٦) (المترجم)

والنسط. وقد أكد القرآن هذا الأمر مشيراً إلى أنه الهدف الاسمي من بعثة الأنبياء والرسل، فالمقصود من إقرار العدالة والميزان والقسط هو تغيير الوضع الموجود لامتداعته وأريد أن يستنتج هنا أن الدين لم يقب بوجه الانحداد بقدر وقوفه بوجه الدين. بل، كان الدين على مَرِّ المصود في صراع دائم مع الدين نفسه، لقد وقف دين التوحيد الذي يركز على وعي الإنسان وبصيرته وعشفه وحاجته الفلسفية النظرية بوجه دس الشرك المبتق من جهل الناس وخوفهم، ولهذا يرى دين التوحيد دساً ثورياً على مَرِّ التاريخ فكلاً ما يبع دين الشرك التبريري في تحريف الدين الأصلي والتلاعب بعقائد الناس طهرسي إبراهيمي جديد ليدعو الناس إلى اتباع القوانين الإلهية العامة التي تعكس إرادة الله تعالى. ولذلك يرى أن دين التوحيد يتسم دائماً بزعمة التمرد والانكار والرفض والمواجهه.

الله والناس

في التوراة والإنجيل (هي بعض الأجزاء التي سلمت من التحريف) وفي القرآن أيضاً، نرى الله تعالى والناس في جبهة واحدة أي أننا نستطيع استبدال كلمة الله بكلمة الناس أو كلمة الناس بكلمة الله في جميع الآيات القرآنية التي تتناول المسائل الاجتماعية والسوساية والاقتصادية - لا المسائل الفلسفية والعلمية - مثال ذلك الآية الكريمة:

«أن تقرضوا الله قرصاً حسناً...» فهل تمي هذه الآية أن الله يحتاج إلى من يقرضه قرصاً حسناً وهو القنبي من العالمين ! كلا، بل أن المقصود من الله في هذه الآية هم الناس، وهذا التقارن مشهود في جميع الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تعالج المسائل والاتجاهات الاجتماعية، والمراد آيات أن الله تعالى والناس يقفون في صف واحد وجهة واحدة.

اتباع الطاغوت

وفي الجهة المتقابلة يفت اتباع الطاغوت. من هم اتباع الطاغوت؟ أنهم أولئك الذين يبتغ عنهم القرآن: «الملا» وهم المترفون الذين يملأون العين ويشعلون المصائب والمواقع المهمة في مجتمعاتهم ولا يلتزمون بمسؤولياتهم وواجباتهم.

الدين الذي حكم التاريخ هو دين الملا والمترفين، وكانت حكومة هذا الدين تتراوح بين الحكم المأسر والصرع، والحكم تحت ظلمة «دين الله والناس».

أما دين التوحيد فإنه لم يتحقق في أي برهة من التاريخ، ويكفي الشبهة فغراً أنهم رهضوا الحكومات المستعرة باسم الإسلام والتي حكمت في القرون الوسطى اعتقاداً منهم بأن عمل هذه الحكومات هو

يهب أميربالي وأن هذا الحكم هو أقرب إلى حكم كسرى وقيصر منه إلى خلافة رسول الله (ص).

أذن فالدين الإبراهيمي هو الدين الذي ظل يواجه دائماً دين الطاغوت والملا والمترفين ويدعو الناس إلى النهوض والتمرد على جهة (الملا) ويقرهم بأن الله تعالى معهم وفي صفوفهم.

خطاب هذا الدين موجّه للناس وهدفه إقرار العدالة وبشرها.

هذا الدين وليد وعي الناس وحاجتهم الماسة إلى العشق والعبادة والوعي، غير أنه لم يتحقق عينيّاً في التاريخ، بل ظل على شكل نهضة انتقادية عارمة تقدت التاريخ ولم تتحقق فيه بشكل كامل قط. وأن الدين الذي هيمن على التاريخ هو دين الشرك - دين الطاغوت والملا والمترفين - الدين الأثيوبي الذي أخذ على صانعه مسؤولية تدمير لوضع الموجود.

أود أن أقول لأولئك المفكرين الذين يسألوني دائماً: «أنت بصنك مفكراً كيف تركز على الدين إلى هذا الحد؟» أني عندما اتحدث عن الدين فاني لا اتحدث عن الدين الذي كان مهيناً على المجتمعات في الماضي بل اتحدث عن دين كان هدفه الوقوف بوجه الدين المهين على المجتمعات عبر التاريخ. أني اتحدث عن دين بحث انبياءه لمقارعة دين الشرك بجميع أشكاله، بيد أن هذا الدين لم يتحقق في الماضي بشكل كامل وأن المسؤولية التي تقع على عاتقنا اليوم هي

السمي لتحقيق هذا الدين في المستقبل، وهذه المسؤولية هي مسؤولية الإنسانية جمعاء. فاهتمامنا بالدين ليس رجوعاً إلى الوراء بل هو مواكبة لحركة التاريخ.

يبت في بداية هذا البحث مقصودي من عنوان هذا المقال «الدين ضد الدين» واستعرضت في حديثي الفكرة التي توصلت إليها أخيراً وأولاً لم يكن هذا الاكتشاف اكتشافاً علمياً أو فلسفياً مقدراً بل هو شيء بسيط غير أن الكثير من الأمور البسيطة التي لا تنتبه إليها تعود علينا بنتائج سيئة جداً.

دعرب في حديثي أن الدين لم يصارع الكفر والالحاد - بالمعنى الذي يتبادر في ذهننا - وذلك أنه لم يكن في الماضي أي مجتمع المعادي أو طبقة المعادية غير دينية، والتاريخ يشهد لنا بأن الناس على مرّ العصور كانوا متدينين دائماً في مسارهم الاجتماعي والتاريخي. وقلت أيضاً أن المجتمعات البشرية بكلّ أصنافها وبدون استثناء كانت مجتمعات متدينة في جميع مراحل التاريخ، أي أن الدين كان الأساس الفكري والثقافي لكلّ المجتمعات في طول التاريخ، بحيث لو أردنا عداد تحقيق من التاريخ الحضاري والثقافي لمجتمع ما نجد أن تحقيقاً قد تبدّل بشكل عفوي إلى تحقيق عن الحصار الدينية أو

الثقافة الدينية لذلك المجتمع

فهل يمكن التحدث عن الحصار الهديّة بدون التطرق إلى الدين الوثاني والبوذي والازدهار بأن هذه الأديان هي المحور الرئيسي والجوهر الأساس في هذه الحضارة المظلمة؟ وهل يمكن التحدث عن الحضارة الصينية بدون التطرق إلى لائسه وكنفشيوس وأعبارهما المحور والجوهر لهذه الحضارة العريقة؟

أذن نحن نعلم أن البشر كانوا متدينين على مر التاريخ^(١) وأن البشر لم يكونوا معتقدين بالدين قهسب، بل كانت حياتهم تركز على قاعدة دينية، ولم يكن الدين مهتماً في مضامير الثقافة والأخلاق والمصويرة والفلسفة فحسب بل كانت الهيئة المادية والاقتصادية وحتى الطابع المعماري في المدن القديمة دينياً أيضاً.

وقلت أيضاً أن العمران في أغلب المدن القديمة هو عمران رمزي فالتناجد ايمية المدينة تحيط بمبناها، كرون المعبد رمزاً لتبلاك المدينة فكما نرى اليوم برج أيفل رمزاً لمدينة باريس، كانت المعابد رمزاً للمدن في الماضي فقد كان معبد «دلفي» مثلاً رمزاً لمدينة اثينا في الحصار اليونانية

ولنا أن تتساءل: ما هو الفكر والواقع الاجتماعي الذي وقف

(١) التاريخ بمعنى قصة حياة الإنسان الاجتماعية لا بالمعنى المصطلح.

بوجهه انبياءنا المؤسسون لهذه النهضة التاريخية الممتدة من آدم (ع) الى خاتم الانبياء (ص) ومن هم الذين وقفوا في وجه هؤلاء الانبياء وهذه الاديان الابراهيمية الحقّة؟

نعلم أنّ «الكفر» هو جواب جاهز لهذه الأسئلة، لكنّ الكفر لا يعني عدم التدنّس بدين خاص، بعبارة أخرى انّ الانبياء لم يأتوا ليدعوا الناس الى أصل الدين والشعور الديني ولم يأتوا لتبليغ العبادات في المجتمعات البشرية لأنّ انسيادة والشعور الديني والاعتقاد بالعيب والايمان بالله او الالهة كان سائداً في جميع الأمم والمجتمعات التاريخية. وإذا لاحظنا بعض «الزنادقة» أو «الدهريين» يفكرون بوجه الانبياء - وقتلنا نجد ذلك لأنّ هؤلاء وقفوا في الغالب بوجه الفلاسفة وزعماء الدين - فأننا نراهم يمتنعون مبدأ دينياً بشكل آخر أو باعتبار آخر أي أنهم كانوا يؤمنون بالقوى العنيفة وبما وراء الطبيعة. ثم انّ الدهرية والزندقة هي ظاهرة متأخرة جداً من حيث الزمن أي انها تتعلق بمراحل التطور الفكري والفلسفي والعقلي في تاريخ البشر، وإن الدين كانوا يشككون في الدين والنقائذ الدينية هم من التواحد، ولم تدخل الزندقة في مجرى التاريخ ولم تصح كياناً يختص بها في أي من حقب التاريخ.

ان تاريخ البشر هو عبارة عن تاريخ المجتمعات الانسانية في جميع المراحل الاجتماعية والتاريخية والاقتصادية والثقافية

والمعضارية التي كانت دينية دائماً وإنّ انبياءنا بدأوا هذه النهضة الدينية على ضوء حاجة مجتمعاتهم ومقتضى ظروفها الخاصة، وإنّ الذي وصف دائماً في وجه هؤلاء الانبياء وسمى دائماً الى تحريف مبادئهم هو «الكفر» لا الزندقة والالحاد

صحة القول، انّ الدين - بالمعنى الذي نفهمه نحن - كان في صراع دائم مع الدين وإن رسالة الانبياء ومحور دعواتهم يتمثل في الصراع مع الكفر، لا الصراع مع الزندقة والالحاد إذ الزندقة لم تكن سائدة في تلك المجتمعات. وهذا لا بدّ لي ان اشير الى انّ هذا الاستنتاج هو استنتاج قرأني لحسن الحظ:

دين الكفر ودين الاسلام

يا أمّ الله تعالى النبي (ص) ان يقول للكافرين الذين ناهضوا الاسلام بمقتضى الأعمى وحاربوا ابراهيم وموسى وعيسى (عليهم السلام): ﴿قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون﴾ لاحظوا النكرار والدقة في هذه المسورة كل ما اريد أن أقوله، موجود فيها: ﴿لا اعبد ما تعبدون﴾، اذن الحطاب موجه للكافرين لا الزنادقة المسألة ليست مسألة صراع بين اليهودية والزندقة وإنما الصراع بين اليهودية والعبودية وإنّ الذين ناهضوا دين الاسلام لم يكونوا من الزنادقة (الذين لا يؤمنون بوجود إله)

بل كان عدد آلهتهم أكثر بكثير من إله الإسلام الواحد، «ولا أنتم عابدون ما أعبد» وهذه الآية لا تختلف في المعنى عن الآية السابقة إلا أن القرآن يكرر هذا المعنى لأنه يريد ترسيخ هذا المبدأ في أدمغتنا وعقولنا، «ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون ما أعبد» انه يعيد ويكرر المفهوم نفسه. وفي آخر السورة يعلن النص التالي شعاراً لهذه النهضة: «لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ»، ومضى هذا أن الصراع على طول التاريخ هو صراع بين الدين والدين وليس بين الدين والزندقة

هيمنة دين الكفر على التاريخ

ذكرنا في القسم الأول من حديثنا أن دين التوحيد ودين الكفر كانا في صراع دائم في التاريخ ونسأل الآن: «من كان المنتصر في هذا النزاع؟» هي الحقيقة أن النصر كان حليماً لدين الكفر دائماً ويكفي لاثبات ذلك نظرة عابرة إلى تاريخ المجتمع البشري.

إن أتباعنا - الأنبياء الذين نعتقد بحقائقهم - لم يستطيعوا أن يطبقوا دينهم بشكل كامل ومتشود في أي مجتمع وفي أي برهة من التاريخ.

لقد كان هؤلاء الأنبياء يظهرن على شكل بهضة وثورة وتسرّد على الدين الحاكم، إلا أن جبر التاريخ - الذي كان في أيدي الكافرين -

ودينهم - الذي كان يبرر الوضع الموجود - كانا يفرضان استمرار حكومة الكفر وبقاءها، وبما أن السلطة سواء الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية - كانت بأيديهم دائماً، لذا لم يستطع دين الحق أن يتجسد بشكل واقعي في أي مجتمع منذ فجر التاريخ حتى يومنا هذا

ما هو هذا الدين ومن هم هؤلاء ؟ من أجل أن نقنع اسماً لهذا الدين ولكي يكون كلامنا أكثر بساطة وشفافية يمكننا أن نقنيس من النصوص الدينية اسماً وصفاً عديدة. إلا أن هذه الاسماء قد تكون أكثر مناسبة من غيرها:

هو «دين الناس» من زاوية المحاطب وهو «دين الله» من حيث محور الدعوة وروحها وجهتها الدين الذي وقف دائماً بوجه الدين الموجود وحمل راية الصراع في كل زمان ومكان هو الدين الذي كان محور خطابه «الناس» وكانت دعوته دعوة إلى «الله» أن هذا الدين - إذن - هو دين «الله والناس»

العمل مثل الخامس

لو راجعنا القرآن لرأينا في أول نظرة أن القرآن يستدعي بكلمة «الله» ويختتم بكلمة الناس. ويرى أيضاً أن مخاطبي هذا الكتاب هم الناس دائماً

إن دين «الله والناس» أي الدين التوحيدى - يفصل وجود الله وداته عما سواه وهما الانسان والطبيعة - خلافاً لما نراه نظرة واحدة الوجود الهندسية - ولكن «الله» و«الناس» في هذا الدين يفتقون في صف واحد وجبهة واحدة من حيث المكانة والجهة الاجتماعية، بحيث أننا نستطيع استبدال كلمة «الله» بكلمة «الناس» وبالعكس في جميع الآيات التي تتعلق بالمسائل الاجتماعية والاقتصادية والمسائل المتعلقة بالحياة. مثلاً: «مال الله»، فكلمة الله هي هذه العبارة تختلف عن معناها الوثني القائل بحاجة الله الى التملك والثروة والذي يفرض على الناس أن يدفعوا مبلغاً من اموالهم - نذراً او هدية - الى المعبد أو صاحبه!

إن معنى هذه العبارة هو أن «مال الناس»، وهذا التفسير ليس تفسيراً حاصلاً بل فأكبر قد فسرته برأى متأثراً بالبراميل الفكرية السائدة في عالم اليوم، بل هو ذات التفسير الذي أقحم به أبو ذر معاوية بقوله: «ذلك تريد أن تأكل مال الناس يدعى أن المال مال الله وأنت خليفة الله في أرضه ويعق لك أن تأكله أو تهيب لمن شئت» يريد أبو ذر أن يقول لمعاوية أن مال الله هو مال الناس وليس مال الملائكة

إن «مالكية الله» تعني «مالكية الناس» لأن الله والناس في صف واحد: «الناس عيال الله» ومن المسلم أن يكون المعيل والمعيل هي صف واحد

عيال الله

ويصف مقابل عيال الله الملائة والمترفون وبذلك الذي تسلطوا على رقاب الناس وسيطروا على ثرواتهم وسلبوا منهم حق تقرير مصيرهم الاجتماعي والاقتصادي. وقد كان هؤلاء السلا والمترفون اصحاب دين ولم يكونوا ماديين ووجوديين أو رنادقة، كانوا يعبدون الله (أو الالهة)

دعم التمييز الطبقي والعنقي

ذكرت في التسم الأول أن الفرق لا يحمل معنى فلسفياً محسوب بل انه يعني «تبرير الوضع الموجود» هما هو الوصف الموجود في التاريخ؟ انه الشرك الاجتماعي

والآن ما هو الشرك الاجتماعي؟ انه يعني وجود اصنام متعددة يمدد الطبقات والفتات والأعراق والقبائل في المجتمع. فقد كان لكل شعب وعرق وقبيلة صنم أو إله خاص، وكانت عبادة هذه الاصنام تعني الاعتماد باصالة هذه الشعوب والطبقات والفتات المتنوعة وضمها حقوقها وامتيازاتها الخاصة، بينما يصرح دين التوحيد أنه لا إله إلا الله ولا خالق ولا معبود سواه وأن الرب والخالق هما مفهوم واحد

الربّ والخالق

تعتقد الأديان جميعاً بأن الله هو خالق الكون. غير أننا نجد الاصنام تتعدد عندما نلتحق الى مفهوم الربوبية. فعبادة التاريخ كفرعون ونمرود لم يدعوا الخلق وإنما كانوا يدعون أنهم أرباب للناس، فالرب هو المالك والمالك لا يسي الخلق.

كان فرعون يقول: «أنا ربكم الأعلى» أي أنا صاحبيكم ومالككم ولم يقل أنا خالقكم وبارئكم.

لقد كانت أديان الشرك جميعاً حتى الأديان اليونانية تعتقد بالله في مسألة الخلق إلا أننا نجد آلهة متعددة أخرى تظهر فيما بعد تحت عنوان «أرباب الناس». لماذا؟ لتحقيق مختلف أنواع وأشكال الهيمنة وزرع بذور الاختلاف والفرقة بين أفراد البشر أو بين فئات المجتمع الواحد بنية تصنيف المجتمع الى طبقات عديدة وفئات متصارعة بين حاكم ومحكوم ومتغهم ومغروم.

المدينة المنورة رمز المجتمع المثالي

ذكرت في القسم الأول من هذا البحث أن «دين الله والناس» كان على مر التاريخ على شكل نهضة كفاح ونضال ضد الواقع المهيمن ولم

يكن على شكل دين يبني المجتمع على أساس مبادئه فأننا لا نجد في التاريخ البشري مجتمعاً قد بني على أساس هذا الدين سوى مجتمع المدينة المنورة في حياة رسول الله (ص)، ولم يكن هذا المجتمع حقيقة تاريخية في مرحلة معينة بل كان على شكل رمز مثالي - كما ذكرت آنفاً -

إن عمر هذا المجتمع لا يتجاوز العشر سنوات مقابل خمسين ألف سنة من التاريخ. فقد حكم دين الشرك في المدينة على مر التاريخ تارة باسم دين التوحيد وأخرى باسم دين الشرك ولكن الفرصة لم تسمح لدين «الله والناس» إلا في هذه السنوات العشر لبنى نظاماً اقتصادياً واجتماعياً وتربوياً وينظم العلاقات الفردية والاجتماعية والقسوة والطبقة والفرقة وكذلك العلاقات بين الاقلية والاعلبية على أساس دين «الله والناس»

لقد استطاع هذا الدين أن يبني هيكلية هذا النظام غير أنه لم يتمكن من تطبيقه بشكل كامل، لأن الإنسان لا يستطيع أن يطبق نظاماً يبني على أساس رسالة تتطلب على التاريخ في عشر سنوات فقط وقد لمسنا ذلك تاريخياً، فإن سكان المدينة لم يقدروا على تغيير تربيتهم الفطرية والاجتماعية التي تبنيت على أساس الجاهلية في مدة عشر سنوات ولم يستطيعوا المحافظة على ذلك النظام العظيم ورأينا أيضاً عدو هذا النظام وهو يسيطر على كل شيء مرة أخرى

بعد مرور عشرين سنة فقط

اذن نستنتج ههنا ان النظر الى التاريخ بهذا الشكل وان ايمان النظر فيه بهذه الطريقة سيؤدي بنا الى المدول عن كثير من التصورات التي رسمت في اذهانتنا من التاريخ والدين والزندقة وعن الممكرين والالهاديين والمتدينين في الماضي والحاضر، وهكذا بالنسبة للعلاقة بين العلم والحضارة والعلاقة بين الماديين والدينيين.

وعليها ان تطلي الحق للممكري القرنين السابع عشر والثامن عشر وكذلك القرن التاسع عشر حيث قالوا: «ان الدين كان أفيوناً للشعوب على مر التاريخ» لأن هؤلاء وصعوا الدين الذي كان مهيمناً على التاريخ وعليها ان يؤيد مزاعم من قالوا «ان الدين هو عامل لتحرير السلطة، للاقتصادية والاجتماعية التي تتمتع بها الاقلية ضد الاغلبية في التاريخ» انهم على حق لأن الدين كان يبرز الوضع الموجود في عهد الاقطاع. وتوى هذه الحالة في كل المجتمعات وفي كل المراحل التاريخية التي تجد فيها شكلاً من أشكال الحكومة والاقتصاد، فلو ان كانت مهمة الدين تبيرير الوضع الموجود عبر استغلال العقائد الدينية الراسخة في فطرة الناس

وما أكثر النماذج التي تزود هذا الكلام، فما عليكم إلا ان تختاروا حقيقة من التاريخ لتلاحظوا الطريقة التي كان ينتهجها الدين في تلك الحقيقة التاريخية. وتدرس هذه الحالة في ايران مثلاً:

الدين في ايران

حكم الدين على المجتمع الايراني في العهد الساساني بشكل مباشر، فقد كان الملوك والامراء في هذا العهد يخضعون بشكل كامل لعلماء الدين والمعابد وكان النظام الطبقي سائداً في هذا المجتمع على النحو الذي لا يستطيع فيه أي شخص من الطبقة السفلى الارتقاء الى طبقة أعلى بأي حيلة أو مسخرة

الطبقة الأولى والطبقة الثانية

تقع العائلة المالكة والنبل في الطبقة الأولى في العهد الساساني والى جانبهم رجال الدين - موبدان - في الطبقة الثانية، وكانت السلطة في هذا العهد تتراوح بين هاتين الطبقتين فتارة تسيطر الأولى على الثانية وأخرى بالمعكس

يبد أنهم كانوا جميعاً من الملأ والمترفين الذين لا هم لهم سوى استثمار الناس واستغلالهم فلا فرق بين هاتين الطبقتين سوى ان الأولى - العائلة المالكة والاشراف يستمر الناس بالقوة، والثانية - رجال الدين - تنهب ثروات الناس بالتبوير الديني، ولذا يرى ثروات الناس دائماً في أيدي هاتين الطبقتين ويرى القسم الأكبر منها أحياناً في يد رجال الدين كما يقول آبر ماله، «كان سهم رجال الدين المجهري ثمانية عشر سهماً من اصل عشرين سهماً».

الطبقة الثالثة

تشمل هذه الطبقة على الصناع وأصحاب الحرف والمسكر والمزارعين وهي طبقة محرومة من كل مقخرة وليس لها أي حق اجتماعي لأنها تنتمي إلى عرق نجس! - كما هو متعارف في الهند -

ينقل الفردوسي^(١) عن «رستم فرخزاد»^(٢) قوله: لو أتى الإسلام لسأوى بين السيد والعبد ولغلط الاعراق ولنضج مصيلة الحسب والنسب، لأن الحسب والنسب لا يمكن أن يكونا ملاكاً للفضيلة في الإسلام. ويحق للسيد والعبد على حد سواء أن يتصدى لمسؤولية القيادة والحكم في المجتمع الإسلامي.

إن هذه الألفاظ التي أراد الفردوسي أن يعبر بها الإسلام تعد من أكبر المفاهيم وأبغى الشعارات المرفوعة في عالمنا اليوم.

كان الدين يبرز وجود المميز الطبقي في العهد الساساني. وذلك أن الجباية لم يكونوا قادرين على ذلك لأنهم لا يجيدون الفلسفة والتبرير ولا يملكون شيئاً من ما ورد في الطبيعة ويلجأون إلى القوة فقط.

إن ابن الأسكافي في العهد الساساني يحرم من الدراسة، لماذا؟

(١) شاعر إيراني كبير عاش في القرن الرابع الهجري وكتب ملحمة «الشاهنامه»
(٢) قائد القوات الإيرانية في معركة التانسية

لأنه لو أكمل دراسته سينتمي إلى طبقة الكتاب وهي طبقة أخرى أسمى من طبقة الرعيعة. إذن يجب أن يبقى ابن الحذاء هذا حذاءً هو وأبناؤه وأحفاده إلى أبد الأبد حتى لو كان من التوابخ إن عليه حيث أن يستخدم نوعه في صناعة الأحذية فقط.

رجال الدين المجوس وتبرير التمييز الطبقي

دأب رجال الدين المجوس على تبرير التمييز الطبقي والقوارق الطبقة في العهد الساساني. كان هنالك ثلاثة أنواع من النار المقدسة وتعد كل واحدة من هذه النيران الثلاثة مظهرًا من مظاهر (أهورا مردا)^(١).

١- نار «كشسب» في آذربايجان.

٢- نار «يرزين مهر» بالقرب من مدينة سبروار.

٣- نار «استهر»^(٢) في فارس (بالقرب من مدينة شيراز)

هذه النيران الثلاثة من مظاهر أهورا مردا إلا أن أهورا مردا نفسه

(١) مركبة من (أهورا) خالق الروح والحياة و (مردا) صفة أهورا، كما أن (مردا) مركبة من (مه) وتعني عظيم و (ردا) وتعني العالم المطلق. وهو إله الخير ضد المجوس

(٢) اسم حصن في فارس، وسُمي بذلك لأن فيه مسجداً عظيماً

يتبع النظام الطبقي أيضاً قانوناً الموجود في آذربايجان هي للملوك والاسرة المالكة، والنار الموجودة في فارس خاصة برجال الدين، والنار الموجودة في القلعة القريبة من سيروار، برذين مهر - هي للمزارعين والفلاحين وأصحاب الحرف.

إن آهورا مزدا لا يحمل وجهاً واحداً وناراً واحدة حتى في دين المجوس الذي تتحد فيه آلهة الجمال والخير ويحيد الناس إليها واحداً (آهورا مردا) ويصارعون عدواً واحداً (اهريمن)، فالنار المقدسة تبرز وجود الاختلاف بين هذه الطبقات الثلاثة وتوحي عدم امكانية اندماج هذه الطبقات لأنها متباينة وليست متشابهة، وهذا الاختلاف والتباين من وجهة نظرهم هو انعكاس لازمة آهورا مزدا لأنه هو الذي شاء ان يكون ذلك مثلما شاء ان تكون النار مقدسة.

وهكذا، يرى آهورا مردا يثبت هذا التالوث الطبقي في المجتمع لكي يوحى للفلاح ان إلهه الخاص وناره المقدسة هي الموجودة هي مدينة سيروار وليست هي فارس أو آذربايجان وأن النيران الأخرى لا تنفعه ولا تنصره، بل لا تفتنه ولا تغيته أصلاً

وهي الهند أيضاً عندما يريد بوذا التحدث عن الإله أو الآلهة أو عندما يريد الاقصاد عن شعور عظيم أو الكشف عن فكرة سامية، يقول هذه طريقة آرية أو هذه فكرة آرية ويقصد بذلك انها تختص بالمنصر الآري أي المنصر النجيب الأصل وانها لا تتمتع بالطبقات

النجسة الأخرى التي حكم عليها بالنجاسة لأنها لا تنتمي لهذا المنصر لقد كانت الانظمة الطبقيّة والمنصرية والعرقية تستولي على كل شيء حتى على مقدسات الانسان وأفكاره الدينية وكان الدين يسير دائماً هذه التوارق الطبقيّة مستغلاً بذلك تخلف الناس الفكري والفنسي.

وعندما نلاحظ تصريحات بعض الفلاسفة كبارسطو وأفلاطون بأن العبد يولد عبداً وأن السيد يولد سيداً وأن الأسر الشريفة تمتع بحرق شريف وأنها محصورة مثلاً في مدينة (أثينا) في عشرين أسرة فقط (لا أكثر ولا أقل)، فأتينا نرى ذلك يحصل في زمن كان الناس يعيشون فيه تحت هيمنة الدين

لقد كان دين «الملا» ينتج الأميون للمجتمع بإنتاجه لمواظ من هذا القبيل: «أنتم لستم مسؤولين لأن كل ما يحصل هو حاصل بإرادة الله ومشيتته»... «لا تشكوا من الحرمان ولا تتألموا فانكم ستجزون في مكان آخر»... «اصبروا على كل شيء لكي يضاعف الله لكم الأجر».

هكذا كانوا يشدون احتجاج الفرد ويجحدون حركته الإرادية

كان الجبابرة يستخدمون العنف في مواجهة الناس واعتماد لورااتهم، لكن الدين كان ينتهج طريقة أخرى في وأد النهضة ورد الانتقاد واعتماد تائفة القنص والاحتجاج وهي تبرير الموقف بطريقة كهذه: «إن كل ما حصل قد حصل بحسنة الله، فأى احتجاج واعتراض

سيكون بمنزلة الاحتجاج على الله ومشيئته».

وعلى الضفة الأخرى يقف دين الحق في مقابل هذا الدين
لتحديري التبريري الماكر الذي سلب من الناس شعورهم بالمسؤولية
ويؤثر التمييز الطبقي والعنقي في المجتمعات عبر التاريخ

أنبياء دين التوحيد

دين التوحيد هو دين الانبياء الرعاة، الانبياء الصالحين، الانبياء
الذين هجروا الحرمان والجوع في طبيعتهم، اولئك الذين وصفهم
نبينا (ص) بأنهم كانوا جميعاً من الرعاة، وقد وقف دين هؤلاء الانبياء
دائماً يواجه دين الطبقة الحاكمة، دين القساوسة والرهبان والسحرة
إن دين عبادة الطاغوت الذي كان يتمتع بكل شيء طوال التاريخ
كان بدوره آله في يد الطبقة الحاكمة لاستثمار الطبقات السحيقة وقمعها
واقناعها، ولقد ظهر هذا الدين بشكله الجلي والحفي في كل حقبة من
حقب التاريخ

دين الشرك الجلي والخفي

الشكل الأول هو الشكل البدائي والواضح والصريح الذي يسمى

«دين الشرك الجلي» والذي لا يزال موجوداً بين بعض القبائل في
افريقيا. ويمتد اتباع هذا الدين بتعدد الآلهة ويقدمون بعض الحيوانات
أو الأوثان أو الملائم والرموز الخاصة.

إن محاربة هذا الدين «دين الشرك» عندما يكون جلياً وعلانياً
ومكتشفاً يمدّ امرأ سهلاً لكنّ محاربته ستزداد صعوبة عندما يخفي
وراء ستار من «دين التوحيد» ويكون آله في يد الملأ والمرفين. وذلك
هو الشكل الآخر من دين الشرك، الذي يظهر فيه دين الطاغوت باسم
دين التوحيد ليضي على دين «التوحيد» ويظهر اتباع الطاغوت باسم
عباد الله ليبيطوا سلطتهم على قادة نهضة التوحيد والمجاهدين في
سبيله طالما كثر هذا السؤال على طيني في درس «تاريخ، لاسلام»
في كل عام واقرله لهم مسبقاً لأنني اعلم ويعلم الجميع ايضاً انه لو اجيب
على هذا السؤال جواباً صحيحاً فإن الكثير من المشاكل سوف تحل -
حتى المشاكل الاجتماعية - والسؤال يقول ان شخصين احدهما
رسول الله (ص) والآخر الامام علي (ع) أرادا ان ينضرا الدين في
مجتمع واحد، فلماذا خرج رسول الله (ص) منتصراً ولم يخرج الامام
علي (ع) منتصراً من هذه المهمة؟ كلاهما كانا من عرب القرن السابع
الميلادي والدين الذي كانا يدعوان اليه هو دين واحد والقرآن قرآن
واحد والمعبود معبود واحد واللغة لغة واحدة والزمن واحد والمجتمع
واحد... لكننا نرى النبي (ص) ينتصر في هذه المهمة والامام علي (ع)

يخفق فيها لماذا؟

البيض يجيب على هذا السؤال بإجابات مروعة فيقول مثلاً، حصل ذلك لأنّ عتيّاً (ع) لم يكن مساوماً ولم يساوم الباطل ولم يقبل الظلم والجور، بل كان حازماً في رأيه وعمله، إنها اجابة محيرة فهل يقصد هؤلاء - والعياد بالله - أنّ رسول الله (ص) لم يكن يتصّب بهذه الصواب؟

صحيح أنّ كلّ هذه المراحل - عدم مساومة علي وحدم قبوله للظلم والجور و... - كانت مؤثّرة في (إحباطه) إلّا أنّ هنالك عاملاً آخر يجب أن نذكر عليه وهو العامل الاساسي الذي سبب هذا (الاحباط)

بعبارة أخرى عليا ان نبحث عن عامل لم يكن موجوداً في زمن الرسول (ص) وكان موجوداً في زمن الامام علي (ع)، واصح ان هذا العامل هو «دين الطائفت»، الدين العرقي والتبلي والطيفي، دين عبادة الاوثان، دين الشرك الذي كان آفة في يد «الملأ والمترفين» الذين كانوا يتمتّلون في قبيلة قريش آنذاك.

لقد كان هذا الدين - دين الشرك - ساهراً وواضحاً وصريحاً في زمن الرسول (ص)، فقد كان أبو سفيان وأبو جهل وأبو لهب يمولّدون بصراحة، يجب ان نحافظ على الاصنام وعلى الكعبة لكي تبقى تجارة قريش قائمة لأنّ تجارتنا وعظمتنا ومقامنا وشرافتنا وحلوتنا على قبائل العرب منوط بالاصنام والكعبة ولا يمكننا ان نقبل بشيء آخر بل يجب

عليّا أن تدفع عن الاصنام والكعبة وسنّى الاولين، كانوا يقولون هذه الكلمات بصراحة ولذلك كان الصراع معهم أمراً سهلاً وكان الانتصار عليهم ممكناً وهذا العامل هو السبب في انتصار رسول الله (ص).

أما علي (ع) فانه لم يشهر سيفه على قريش المشركة التي تدافع عن الاصنام بل شهره بوجهه بريش المسلمة التي تدافع عن الكعبة... قريش لم ترفع الملقبات السبع في وجه القرآن بل رفعت القرآن على الرماح. لاحظوا ماذا سيصنع دين الشرك؟ انه يجاهد ويفتح البلدان ويبنى مساجد عظيمة ليقيم فيها الجماعة ويقرأ القرآن ويجعل جميع العلماء والقضاة تابعين ومدافعين عن شعائر هذا الدين ويتخذ دين النبي (ص) شعاراً له الا انه في حقيقة الأمر وباطنه يمارس الشرك بعينه

انّ محاربة هذا الشكل من دين الشرك الذي يتستر بلباس التقوى والتوحيد أصعب بكثير من محاربة الشكل الآخر، ولن يستطيع احد - حتى علي - الانتصار عليه

في تاريخ المجتمعات والاصلاحات الاجتماعية نرى قيادة وقبوا بوجه العدو الاحنبي الذي بسط سلطانه على بلادهم بشكل سافر هزموه وطردهوه من تلك البلاد بسهولة رغم قوة العدو وعظمتته وجبروته لكننا نرى في الوقت ذاته هؤلاء الابطال - الابطال الذين هزموا أعظم الجيوش في العالم - تراهم يخفقون في مواجهة الاعداء في

الداخل أو تلك الذين تسلطوا على رقاب الناس وكانوا السبب في محنتهم وشقايتهم.

يقول رادها كريشن. «إذا ارتدى افروز والمكر لباس التقوى، ستقع أكبر فاجعة في التاريخ».

اذن عندما اتحدث عن الشرك فاني لا اتحدث عن الدين الذي كان سائداً في الماضي والذي يتجلى في عبادة بعض الحيوانات او الاشجار او الاحتام بل ان المقصود من دين الشرك في كلامي هو: الشعور الديني لدى الناس والذي كان لمبة في يد الملاك والمترفين الذين حكموا المجتمعات عبر التاريخ الطويل.

ونستنتج ان المفكرين في القرن السابع عشر والثامن عشر والعصر الحاضر الذين قالوا ان الدين كان عاملاً رئيسياً في شتات الناس وشقايتهم وتثبيت الهيمنة والدولة والصف والهيوان كانوا محقّين في الإدلاء بهذا الرأي لأنهم كانوا يرون الدين عائقاً عن التطور والرقي والحرية والمساواة بين البشر.

وقد اثبتت التطورات المدهشة التي حققها البشر بعد انقضاء الدين عن ميدان الحياة صحة هذه الآراء والتصورات بشكل علمي.

غير ان هؤلاء المفكرين الأحرار الذين سحوا الى نخليص الناس وتحريرهم من هذه الترفافات والسموم المخدرة أخطأوا في تقييمهم واننا - نحن المعتدين - نرتكب اليوم الخطأ نفسه.

خطأ المفكرين

الخطأ الذي ارتكبه المفكرون يكس في أنهم كانوا ينسبون إلى الذين كل شيء يرونه في التاريخ كالمعابد والجهاد والحروب المقدسة والحروب الصليبية والجهاد الاسلامي و... واننا - نحن المعتدين - كنا وما زلنا نحامي من نفس الخطأ.

ذكرت آنفاً ان الاسلام رأياً قوياً في هذا المجال وأنه لا يقبل أيّاً من هذه الآراء بل يعتقد ان دين الحق سيحقق في نهاية المطاف وان الأديان التي حكمت عبر التاريخ في شرق العالم وغربه كانت جميعاً من اديان الشرك حتى لو كانت تحكم باسم دين التوحيد، وان الانبياء إنما يبعثوا لمحاربة هذه الأديان وان دينهم الحق يمنح الإنسان المفكر الحرّ شعوراً بالمسؤولية هو استمرار للمسؤولية التي كان يشعر بها الانبياء انفسهم. يقول النبي (ص): «علماء امتي أفضل من انبياء بني اسرائيل» ويقصد بذلك ان المسؤولية التي كانت تقع على عاتق الانبياء ستقع على عاتق العلماء (اي المفكرين) بعد نبوة خاتم الرسل (ص).

رسالة العلماء والمفكرين

ما هو الشيء الذي يجب على العلماء ان يستمرّوا عليه؟ أنه محاربة الدين من اجل احياء الدين وتثيته ان رسالة العلماء

والمفكرين هي احياء الدين - الدين الذي لم يتحقق في التاريخ - اذن يجب ان يتضح للناس ويكون لهم وجدان ديني يقطر وع ويقهملوا معنى التوحيد ويدركوا معنى تناقض «دين التوحيد» ودين «عبادة الطاغوت» كي يقدرروا على تمييز دين الشرك المتشعب برشاح التوحيد ويرفعوا نقاب الرياء - بكل اشكاله وفي كل ارجاء المعمورة لكي يصلوا الى دين ليس وليداً للجهل وليس وليداً للخوف، كما يقول الماديون ويصدقون القول!

لقد شجب القرآن مراراً موقف اناس يتعرضون الى عاصفة في البحر فيبكون ويتوسلون الى الله خشية تحطم سفينتهم الا انهم ينسون كل ذلك بعد الوصول الى البر ويدان يتقدمهم الله مما كانوا فيه. ان هذا الدين هو دين ناجم عن الخوف وهو الدين نفسه الذي يتهمه الماديون في القرن التاسع عشر بأنه وليد الخوف.

لقد نهى القرآن قبل هؤلاء الماديين على اتباع هذا الدين وعلى عبادة الجبناء والعبيد والتجار وعلى كل عبادة تثبت اركان هذا الدين الذي هو وليد النظام الطبقي... من هم الذي استسوا نظام هذا الدين والى اى طبقة ينتمون؟ الذين اسسوا نظام هذا الدين هم اولئك الذين كانوا يعملون للناس: ان كنتم تمانون الجوع وتنتقدون لقمة العيش فاصبروا حتى يعزيكم الله من موائد الجنة! هذا هو الدين الطبقي الذي يستنشر كالوباء في جسد اديان الحق - حتى في دين نبينا (ص) -.. هذا هو

الدين الذي يسميه علي (ع) بدين العبيد والتجار ويسمي العبادة في الدين الآخر الذي يقف بازاء هذا الدين بأنها «عبادة الاحرار» وهي العبادة التي تنبثق من الحرية والحاجة السامية والعشق والنصبة الانسانية المقدسة والعدل والمساواة والتسسط ونفي جميع الرذائل والارجاس.

ان الدين الذي يبرر الفقر ويحرص على بقائه كان يبرر العبودية ايضاً وكان يحذر الناس ويخدعهم لصالح الملاء والمترفين. الدين القاتل (ان الله لا يهتم بكلمة ظالم وسع مظلوم) يجعل من الشعور الديني مادة تحذير تمزق الناس عن المجتمع وتزهدهم في الامور المادية لصالح اولئك الملاء الذين يستأثرون بها دون غيرهم. ان الدين الذي انكر دائماً مسؤولية الناس وحقهم في تقرير مصيرهم وبرر الوضع الظالم عبر التاريخ مستغلاً بذلك معوية الناس وشعورهم الدني القوي، هو ان الذي كان يوحى للناس يان الجوع والعمران والمرضى هو علامة على رضا الله ودليل على وجود الأهدية اللازمة للتكامل والكمال وهو الذي يتعم لكل شخص حملاً غامضاً بالنسبة للاعتقاد بما وراء الطبيعة ليبدل الجمع الى افراد والنعصور الى اترواء، وهو الذي يسلب من الناس حق الحياة والتمتع والتملك والتحكم ويقوم بكل هذا من اجل الطبيعة الحاكمة مستخدماً بذلك الوعد والوعيد والتبرير

ان القرآن لم يحاطب عدواً بشدة مخاطبته لاثنياع هذا الدين.

معدنا يتطرق القرآن الى يلهم بين باعوراء وهو مثال لاوتك الذئب
حزوا التصور الديني والايماا النظري فصالح القشة الحاكمة نراه
يخرج هـ سباقه ويقول: **فغشاه كمثل الكلب**، ما معنى هذه البعده في
الكلام؟ انها تعني ان هؤلاء هم الذين تتوا وجود الملأ والتفريين وأبوا
على الظلم والاستعمار والتمييز وأنهم هم السبب في عقر ثمار جهود
الانبياء، وهذه العبارات أنما تدل على شدة الاستياء من ممارسات
وأعمال دين الشرك اللعينة.

أريد أن أستعج هنا وأقول «وان كان هذا القول بطل عليكم لكني سوف أشرح أبعاده بتفصيل في فرصة أخرى ان أتجس لي ذلك لأضي اعتقد ان هذا الكلام سيغير نظرتنا وحكمنا على الدين والتاريخ»

أريد أن أقول : إن الرسالة التي حملها المفكرون الأحرار في أوروبا في صراعهم مع دين القرون الوسطى والتي انقذوا من خلالها أوروبا من التخلف والرجعية هي الرسالة نفسها التي أخذها أسبانيا على عاتقهم عبر التاريخ. أنا لا أقول إن تصور هؤلاء كان تصوراً صحيحاً ولكن أريد القول إن رسالة هؤلاء المفكرين هي الصراع مع التحجر والانحراف والذين المحالف للناس وحقوقهم هي الرسالة نفسها التي كان الأنبياء يعملونها على عاتقهم وحطموها من خلالها جميع الأصنام واستهدوا بها جميع ممارسات دين الشرك (دس التبرير والتخدير) وسيتبقى هذه الرسالة على عاتق كل أنصار ديس

المعنى في المستقبل وعلى مدى التاريخ.

عندما نقول ان دين الشرق كان مهيمناً على التاريخ وان الانبياء بدأوا حركة تاريخية صحيحة ضد هذا الدين فأتانا سنكون مسؤولين تجاه هذه الحركة وبثانها واستمرارها لأنها حركة تقدمية تريد ان تثير مجرى التاريخ الذي كان ولا يزال تحت هيمنة الملأ والمترفين.

إن رسالتنا هذه لا تتعلق بالمحاصي وليست رسالة رجعية بل هي استمرار لحركة إنبياء دين الحق، الأخيلاء الذين يعضون من بين الناس - الأخيلاء الأبرار - أي المنسبون للأخياء - الأخيلاء الذين وقفوا بوجه عقائد السلاطين وأتباع الملأ والمترفين، أولئك الذين كانوا إما من طبقة الملوك أو من طبقة الاقطاعيين، أي أنهم كانوا بدون استثناء أقطاعيين من ناحية ويسمون إلى العائلة المالكة من ناحية أخرى.

وما الشيء الذي لم يذكره المعكرونة هي أوروبا (والذي لا يذكره شخصاً) ، هو أنهم عموماً استباحتهم الصحيح عن دين الشرك (الدين الفطري) الحاكم على التاريخ ، على الدين - بمعناه الأعم الأوسع - وليس صحيحاً أن نقول: إن في التاريخ ديناً واحداً ، إذ كان في التاريخ أديان عديدة ، وهذا الكلام هو نفس كلام «غورويش» الذي يقول: «لا يوجد مجتمع عام واحد بل هنالك عدة مجتمعات».

اذن يجب أن تفصل كل مجتمع عن غيره ثم ندقق فيه وبحكم عليه
بشكل خاص

في التاريخ كان هناك نوعان من الدين كما كان هناك دائماً صفان وفتنان متقابلتان على مر العصور: الفئة الطاغية وهي الفئة التي تكنّ العداء للحقيقة والعدالة والحرية والحضارة والرفق وهي الفئة التي كانت معقولة بإشباع ولها وضرارها المتحرقة في التسلط على رقاب الناس وحرمانهم من أبسط حقوقهم، وقد كان أفراد هذه الفئة من المندبئين ولم يكونوا من الزنادقة والكافرين.

لقد أكدت من خلال حديثي حكم المفكرين الاوربيين على الذين غير أي أحد هذا الحكم ظالماً ومجهضاً من هذه الناحية فإنه ليس من الانصاف ان تصع الدين المجوسي والدين المزدكي^(١) والدين المانوي والأديان اليونانية التي ولدت وترعرعت على يد الطبقات الاجتماعية الحاكمة وطبقات الاقطاع المترفة المرفهة، في خنادق مع أديان الحق (أديان الانبياء الزعامة) ثم نعمت حكمنا على كل هذه الأديان ونظر إليها نظرة واحدة، وليس من الانصاف ان نضع دين الحق وانصاره الذين كانوا في جهاد دائم مع تلك الأديان (المتحرقة) والحكومات التابعة لها والذين قُتلوا وسجنوا وعذبوا على يد تلك الحكومات، في جبهة واحدة مع الأديان الأخرى التي حكمت التاريخ

(١) ظهر المزدكية في الطرف الشرقي من بحر دجلة في بلدة اسمها (مادابا) وذلك في زمان الملك (شاه) والد (أرتشروان) الذي بدأ حكمه سنة ٤٨٨ م، وقد كان دينه إصلاحياً للدين (ماني) (المترجم)

اننا لو أصدرنا حكماً واحداً على كل هذه الأديان تكون قد حكمنا على فئتين متنافستين بحكم واحد وبالطبع لن يكون هذا الحكم حكماً علمياً ولا مسجماً مع العقل والواقع والأخلاق أيضاً.

أيها المفكرون أين أنتم؟ هل يمكن الحكم على شيء بالترجمة؟ كيف حكم الاوربيون على دينهم؟ أنهم باصلوا وعملوا ودرسوا وحققوا ثلاثئة عام من الزمن وادركوا في نهاية الامر ان النصرانية هي التي سببت كل هذه المصائب لبلادهم. حسناً أنهم ترجموا ذلك ونحن أيضاً نردد نفس هذه الترجمة. الفكر لا يعني ذلك، وإذا حصلنا على مفكر بهذه الطريقة فإنه سيكون مفكراً ترجمياً وليس مفكراً حقيقياً سوف انطرق فيما بعد الى طريقة صنع المفكر في المجتمعات الاسلامية^(١)

كيف يمكن الحكم على الدين الذي صنع أي أحد بنفس الحكم الذي يحكمه على الدين الآخر الذي جاء ليبقي على كفة الظالم وسحب المظلوم والذي كان مسبباً للفقر وحامياً له؟

أبو در، وجه الاسلام الطاهر الكامل المرتين على يد النبي لم يكن يملك شيئاً - لا مالاً ولا مالاً ولا ثقافة - ولم يتأثر بشيء بل كان روحاً انسانية نقية خالية من كل شوب، فكل ما كان عد هذا الرجل هو من صنع هذا الممثل وهذا الكتاب وهذه الرسالة. يقول أبو در: وصيبت لثن

(١) راجع سلسلة المنتديات (الكراس رقم ٢٠)

لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟

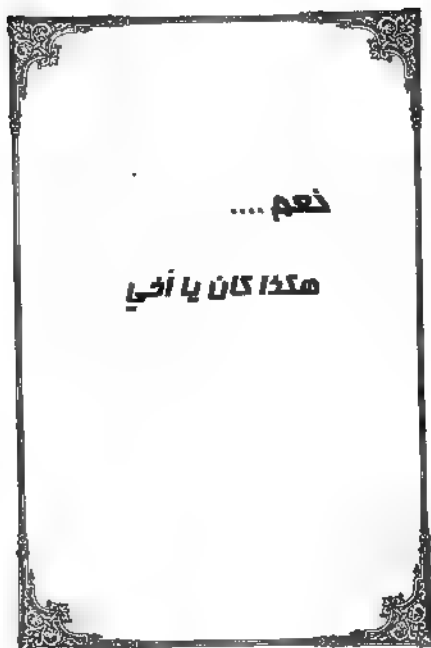
عندما كنت أتحدث بهذا الحديث في أوروبا ولم أذكر اسم صاحبه كان البعض يتصور أن هذا الكلام هو كلام «يرودس» لشدة تطرفه أو كان البعض يتصور أنه من كلام (داستايوفسكي).

يقول داستايوفسكي: «إذا حدثت جريمة قتل في مكان ما فإن أولئك الذين لم يكن لهم أي اشتراك في هذه الجريمة ستكون أيديهم ملطخة بدم القتل أيضاً» وهذا كلام صحيح انظروا الآن إلى كلام أبي ذر (الذي لم يكن متدينًا محسوب بل كان الدين بينه فقد كان أبو ذر ديناً مجسماً ولم يكن أي شيء آخر فكم تأثر بالمداهب المختلفة ولم يمش بعد الثورة الفرنسية، بل عاش بين قبيلة غمار).

يقول أبو ذر: «عجبت لمن لا يجد قوتاً في بيته كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه؟ فلم يقل كيف لا يخرج على من سب له الفقر، ولم يقل كيف لا يخرج على من استغله، ولم يقل كيف لا يخرج على الثقة المستغلة بل يقول: كيف لا يخرج على الناس كل الناس! لماذا؟ لأن كل من يعيش في هذا المجتمع وإن لم يكن من المستثمرين فإنه مسؤول عن الفقر والجوع لأنه يعيش في مجتمع يوجد فيه الفقر والجوع. كم هو مسؤول إلى درجة يكون فيها عدواً مهدوراً للدم. لأنه شريك للمستثمر الذي سبب الجوع. أي أن الناس يعتبرون مسؤولين جميعاً وبشكل مباشر عن الجوع والفقر»

والأجمل من هذا هو أن كلام أبي ذر لا يشبه ميثاق الاسم «المتحدة الذي يقول: «يحق لكل شعب يقع تحت الضغط والنصب القيام لإحقاق حقوقه» فأبو ذر لا يقول: بحق لك أن تفعل هذا ولا يقول: يحق لك القيام ضد أولئك الذين سببوا لك الجوع، حتى أنه لا يقول: يحق لك أن تشهر سيفك على كل الناس بل يقول: «عجبت كيف لا يخرج على الناس شاهراً سيفه»

حينئذ أليس من الاجماع والجهل المطلق أن يحكم على هذا الدين الذي ينظر إلى الناس وحياة الناس هكذا نظرة بنفس الحكم الذي تحكم به على الدين المسيب والمبرّر للجوع. أنه لأمر مضحك ومباكي في الوقت ذاته



نعم

هكذا كان يا أخي

أريد أن أتحدث اليوم عن نفسي، لا لثني، إلا لأنني أريد أن أتو
عليكم حاطرة، حاطرة يرتبط بعدد ذاتها بي وبشخصيتي كممثل لطيفة
ومجتمع ومدينة وتاريخ أنا - من جهة - أنتهي إلى شريحة مثقفة بثقافة
ماصرة تعلمون طبيعة المناخ الذي تعيش فيه ومستوى ارتباطها
بالدين، وطبيعة الأهداف التي تتشدها وماهية اللغة التي تتحدث بها.
وأنا من جهة أخرى، جئتكم من بلاد مائية، صحراء قاحلة لا أثر فيها
للممران والزفاهية والشمس الرغيد؛ حياة يؤس وشقاء وهقر وصور.
وانتمي - من جهة ثالثة - إلى طبقة تتشرف بأن ليس فيها دم لضرب أو
نبيل من أولئك الذين صنعوا شرفهم بالسيف والذهب.

أتمنى في قرارة فطرتي أن آتاني وامهاتي جيلاً بعد آخر
ينحدرون من القفر والنؤس إلى أن يغيروا في عمق التاريخ - وما أسرع
غيابهم إذ لا يذكرهم أحد في التاريخ سوانا نحن ابتداءهم، فالتاريخ عدو
لدود لأجدادي وأجداد أمثالي.

ومع ذلك، فقد وقع اختياري على (الحضارة) كحقل علمي
أواصل فيه دراستي وتحصيلي، وكنت على الدوام شغوفاً بآثار

الحضارة والتمدن البشري، معتبراً هذه الآثار من دواعي الفخر والاعتزاز بالنسبة للإنسانية جمعاء، وحيثما وجدت على مدينة أو بلد سرحان ما يباهر بالذهاب إلى الأماكن التي توجد فيها آثار قديمة لأهل ذلك البلد لأطلع على كتب على حجم الانجازات والدور الحضاري الذي لعبه في بناء الحضارة الإنسانية، وما هي الروائع التي أبدعها في الماضي السحيق.

في اليونان، حين ذهبت إلى معبد دلفي وشاهدت أبنيتها العظيمة، يبرتنني كل تلك العظمة والجلال، وكنت إذا سافرت إلى أسبانيا وأوروبا وأفريقيا أعود مباشرة إلى الآثار العظيمة لتلك الأصفاع حيث تمثل بالنسبة لي مظهر قوة تلك الشعوب ومستوى نبوغها في مجالات الفن والعمارة والصناعة، وتمكن مدى رفعتها الحضاري، فكل واحدة من تلك الروائع العمرانية هي بمثابة كنز لا يقدر بثمن يمثل حصيلة كفاح النوع البشري على وجه البسيطة ويمكس مدى انتصار الإنسانية في صراعها الدؤوب مع الطبيعة على مر التاريخ.

في روما، متاحف القون والإعمار، والمعابد الشاهقة والتصور الفخمة، وفي الشرق الأقصى كالصين وكبوديا وفيتنام، جبال شاهقة شيدتها أياد بشرية وتحيا أنامل أناس سهروا عليها الليالي وأجهدوا أنفسهم وأعضائهم من أجل تحويلها إلى معابد لألوهة السماء ومن يمثلها على وجه الأرض من الكهف ورجال الدين. كانت هذه الأمور في

نظري دواعي فخر واعتزاز بالتراث الإنساني وكانت تمثل بي أحز للمشاهد والمناظر الخلابة التي أطيروها ودهشت لدى التسكّن فيها واجالة النظر في معالمها

إلى أن قررت صيف هذا العام السفر إلى أفريقيا، يشدني شوق عازم إلى رؤية الأهرام الثلاثة في مصر. وعلى حين عزّه انهار كل ذلك الشوق وسدّت كل الأوهام التي كانت تربطني بآثار الماضي وتشدني إليها بقوة وجرفت مني النيل معها كل التصورات التي كنت أحملها في رأسي واكتشفت أن كل ما كنت أؤمن بأنها مظاهر تمدن وحضرة إنساني ما هي إلا سراب حادع دام آلاف السنين، وقد بات الآن في نظري هشيماً تدرؤه رياح مصر!

ما أن وطئت قدمي أرض مصر خلال أيام تموز، حتى عجزت على زيارة أثرها التاريخي العجيب، الأهرام، إحدى عجائب الدنيا السبع، وكذب أظن مرشحاً أن ستحت مثل هذه الفرصة لي استصحب أحد الأولاد لأستفيد من توجيهاته وتوضيحاته حول الأهرام وطريقة بنائها وتاريخها وسمارتها وجماليتها وهنوبها الخفية!

أشار الدليل إلى تلك البناءات الشاهقة وبدأ بحكي قصتها، حين رهاه خمسة آلاف عام حمل (نبيد) ثمانية مليون صخرة كبيرة ترن الواحدة منها طين - كمعكّل - حواشوا بها من أسوان حيث السد العالي المعروف، إلى القاهرة ليشتدوا بها تسعة أهرام، ستة منها صغيرة وثلاثة

كبيرة هي التي اكتسبت الشهرة العالمية الفريدة قبل خمسة آلاف عام، حملت ثمانمائة مليون صخرة على طول مسافة تبلغ (٩٨٠) كيلومتراً من أسوان إلى القاهرة ورحلت على بعضها لتشيّد بواسطتها مهابي ضخمة لتصبح فيما بعد أضرحة لأجساد القراعنة وزوجاتهم بعد تحنيطها بالمومياء المصرية!

لقد صممت الفرقة المركزية للأهرام من ستّ قطع صخرية كبيرة تنهض أربع منها كحدران للضريح والخامسة بمثابة قاعدة والسادسة ولك أن تتصور حجم ووزن الصخرة التي كان يتعين عليها أن تتحمل ملايين الصخور الأخرى المتراكمة إلى أعلى الهرم وتصبّر وتقاوم خمسة آلاف عام لحده الآن!

«حذسي الدهشة وأنا انظر إلى هذا البناء الرهيب، وفجأة وقعت عيني على مجموعة صخور مركومة فوق بعضها على مسافة تبعد حوالي (٤٠٠ - ٥٠٠) متره فاستفسرت من الدليل عنها، فلم تكثر بسؤالي وأجابني: لا شيء أنها مجرد صخور! قلت له: أنها مركومة على بعضها ولا تسمى شيئاً؟ أريد أن أعرف سرّ هذه الصخور، كان يتبادى الاجابة عن سؤالي وشعرت أنه يتحاشى أن أطلب منه الذهاب إلى ذلك المكان، فالتجو كان حاراً والهواء لاذع والأرض صخرية ذات تضاريس وكان من الواضح أن أحداً لا تحدّثه قصة بالذهاب إلى ذلك المكان ولكن، ما ذنبي وأنا الذي علمتني التجارب أن دركنا دائماً في

بعثي واستقصائي سواء في الكتب أو الآيات والروايات أو الآثار والأفكار، على كل ما هو مغيب ومهجور، ولطالما عثرت على الطواب القبية في أماكن وموارد مهمة لا يتم التمرّض لها إلا نادراً، ولا يحزّ عليها إلا مرور الكرام، ذلك أن القبيم إما أن تكتم إذا قُدر على ذلك، وإلا هبتم بشويعها!

عرفت عن الأهرام وتوصيحات الدليل التي بوسع الجميع أن يقرأوا عليها في الكتب والمجلات، وأصررت عليه بأن يكشف عن ماهية تلك الصخور، فأجاب على مضمّن: أنها أخاديد حفرت في بطن الأرض لعدة كيلومترات، قلت له: لماذا؟ قال: أنها مقابر السعيد الذين شكّدوا هذه الأهرام، فعلى مدى مئة وثلاثين عاماً، وبشكل يومي كان العبيد يجزّون هذه الصخور لمسافة ألف كيلومتر وكانت أرواحهم ترهق تحتها ورأعات رراعات، غير أن نظام الرقيق - الذي عطل اختراع المجلة والسلة على حدّ قول «شوارتز» - لأن وجود السبيد بكثرة كان يفنهم من الحاجة إلى اختراعها - هذا النظام كان يلقي بأشلاء السبيد الممزقة في هذه الأخاديد ويأدر إلى استخدام غيرهم.

ويومياً، كانت التقارير ترفع إلى فرعون بموت مئات العبيد، ومن ثم يؤتى بأياض جديدة من أفريقيا السوداء لم تعود بعد على قساوة الظروف والبيئة، فترتفع معدلات الضحايا والوفيات، وكان الخط البياني يرتفع وينخفض حسب فصول السنة وبحسب انتشار الأوبئة

والطاعون. ولكن على أي حال فقد كانت الاحصائيات مروعة وتكشف عن عملية إبادة جماعية لأولئك العبيد، يضاف إلى ذلك هوامل أخرى من قبيل تقلب مزاج فرعون الذي كان مبتلى بحالات نفسية خاصة وأمراض خفية، وكذلك أمرجة أرباب العمل الذين كانوا يتسابقون في اضطهاد العبيد والتمنن في امتصاص أكبر مقدار ممكن من العمل من أولئك المساكين دون وأزع من ضمير أو قانون.

ثم إن فرعون كان متديناً يؤمن بما وراء الطبيعة، وكان ذلك داعياً لرغبته في أن يدفن هؤلاء إلى جواره وعلى مقربة من هرمه لكي يواصلوا خدمته في مماتهم كما كانوا يخدمونه في حياتهم.

قلت للدليل: اتركني وشأني، فإني لا أطيق بعد هذا تحمل وجودك ولا وجود هذه الأهرام الهيئية، سأذهب بنفسى.

دهيت .. لم تكن تمة مسافة طويلة بين أهرام الفراعسة وأخاديد العبيد، غير أن الطريق كان صعب الصبور، والصحور تشدخ أقدام العابرين لتختلف وراءهم خطوطاً من الدماء، لم تكن المسافة بأكثر من عدة أقدام، ولكن المسافة - دائماً - لا تتجاوز الأقدام بين الجلاد والشهيد^(١).

(١) لعلها إشارة إلى دفن الامام الرضا (ع) إلى جوار هارون الرشيد في مشهد بايزيد (المرجوم).

جلست على مقربة من الأخاديد، وما لبثت قليلاً حتى شعرت وكأنّ رابطة قرابة وصلة رحم تربطني هؤلاء النساء، وأن بيّني وبين تلك الأهرام ومن فيها كراهية وغرة! لقد عثرت على ذاتي وأنا أطلّ على قبور أرحامي وأقربائي، وكأنّني أعرفهم فرداً فرداً، أو كانت لي صعبة مع كل واحد منهم أو شراكة في حياة ومصير، كنت واحداً من أعضاء هذه الأسرة البائسة، وما أزال!

صعج انتي بشت من بلاد وهم قدموا من أخرى، وأنا من عرق وهم من آخر، لكنها تصيغات شيطانية تهدف إلى تقطيع الإنسان أرباً أرباً والمثله به، وجعل الأقرباء اجانب والاجانب أقرباء.

غير أنني اليوم أسميت سلباً لهذه الطائفة من بني البشر بعيداً عن مقتضى تلك التصنيفات والتقسيمات المقيتة، هم أقربائي وأنا الآن أواسيهم، وما أن التمت مرة أخرى صوب الأهرام إذا بي أشعر بهوة ومسافة شاسعة تفصل بيّني وبين تلك العظمة والجلال والبهاء، بل كأن بيننا عداوة وكراهية، وحداً على ذلك الفن والتمدن والحضارة، لقد أدركت أن كل الآثار العظيمة على طول التاريخ والحضارات السجدة لم تتم إلا على أشلاء أسلافي!

سور الصين العظيم، وجميع القلاع والأبراج المائلة وما إلى ذلك من الآثار الشامخة، هكذا رأت التور، صخرة صغيرة ولينة لينة من دماء اجدادي ولحمهم وعظمهم.

لقد رأيت بألم هيني أن الحضارة والتدين لا يعنيان سوى العقد والتمتع والتكبر والاستغلال وأسر اليأس ومعنى دماهم... ليسفر عن ذلك بناء شامق مؤلف من ثلاث طبقات هي عبارة عن عمارة الظلم والجور هير آلاف السنين وقد أرسيت دعائمها على أكتاف اخواني واحواتي، مكنت جالساً بين تلك الصخور المتراكمة، ورأيت هؤلاء المدفونين في تلك الحفر وهم يخاطبونني أنا خريج جامعات العلوم الانسانية في أوروبا واستاذ تاريخ الحضارات في جامعات اميران ليطوني درساً من اول صفحات كتاب العلوم الانسانية، كان ذلك أول درس في التاريخ وقد علموني فيه ماذا تعني الحضارة.

اخواني علموني ان كل ما تعلمته باسم الحضارة والتدين والاحلاق انما هو كذب محض، وان ما يدرس في الكتب والحصص ليس سوى الفرونيات والقارونيات والبلغميات، وان التاريخ الحقيقي يمتد على المسافة ما بين الاهرام وهذا المكان، وان الحضارة والمدنية والاخلاق والتاريخ وجميع العلوم الانسانية لا تدرس لا في المدارس ولا في المعابد بل هاهاهنا تحب هذه الصخور، هاهاهنا تجدونها مدهونة مع احوالي.

وتلك الاهرام الثلاثة التي لم تعد في نظري سوى التالوث المشؤوم: الاستبداد والاستعمار والاستعمار، هي التي اغتصبت هذه الفاجعة لتكون دليلاً على سيرة الانسان الظلوم وشاهداً على مصيره المحتوم.

اشكركم يا اخواني المدفونين ها هنا، لقد علمتوني أن كل ما تعلمته في السابق من اخلاق وفنون وعلوم وتاريخ انما هو من صنع هذه الاهرام الثلاثة ومن يرقدها فيها، من صنع فرعون والملا والسحرة، ها أنذا الآن أدفن تحت هذه الاهرام كل ما تعلمته منها، وأبدأ من جديد، وسوف اتجه فوراً من هنا الى (منى) ارض المسقى والقتال، لأرسي الأبالسة الثلاثة أو قل الوجود الثلاثة لإيليس، فنعن جميعاً يا اخواني صعباً لهذه الأرباب الثلاثة التي تعلمنا منها تاريخنا واحلقنا وديننا، والواقع ان هذه الثلاثة هي التي دفنت التاريخ والاخلاق والدين تحت هذه الصخور

عدت الى المدينة، وعزفت عن التجوال فيها خشية ان تطبع في مخيلتي صورة أخرى غير صورة تلك الصخور السكدة، لم اكن أرغب في أن أفكر بشيء ما تعلمته من تلك الصخور مما وجذب فيه تمام وجودي. ذهبت مباشرة الى غرقتي وجلست فيها اتصفح وأستمع وجوه اخواني الجدد، مثق وثلثون عاماً بمعدل ثلاثين ألف من اخواني، من اسوان الى القاهرة، ذهباً وایاباً، قبل خمسة آلاف عام

بعم! خمسة آلاف عام مضت، كان فيها اخواني تحت نير سياط العنلادين وصغورهم، ولا شك انهم لا يعلمون ماذا حصل بعد خمسة آلاف سنة، ولا شك ايضاً انهم يريدون ان يعلموا... تناولت قصاصة ورق وكتبت رسالة الى واحد من مئات الاتلاف السقويين في ذلك

الأخدود، وقَدِّمت له تقريراً موجزاً عما جرى علينا في عصور خمسة آلاف سنة، خمسة آلاف سنة لم يجد موجوداً فيها، ولكن الرقِّ والمبودية استمرّا خلالها بأبماط شتى... جلست وشرعت أكتب:

«رحمت أنت، ونحن لم نرل نبي العصابات العريقة ونهياً لأجل فتوح واقتضارات ومآثر»

كانوا يقدمون إلى قرانا وضباعنا ويجروننا كالبهائم وراءهم، وذلك لتصبح قبورهم، وإذا ما انتهينا من بناء تلك القبور العظيمة كان المجد والمزِّ لهم وحدهم ومتى ما انطفأ بصيص رمقنا الأخير في هذه الحياة خلال هذا العمل المهلك، غدونا إحدى صخرات تلك المقبرة

كانوا - تارة - يأخذوننا إلى الحرب، حرب على أناس لم نعرفهم ولم نكرهم من قبل، حتى على رفاقنا ومواطنينا وأقربائنا

كانوا يقدمونا إلى الحرب عنوة في حين أن أبائنا وأمهاتنا الذين خط الدهر خطوطه السوداء على سيماهم - ينتظروننا بفارغ الصبر، ولكن انتظارهم هذا ظلّ بلا جدوى.. ولا جواب..!!

هذه الحروب - على حد قول أحد العلماء - كانت عبارة عن: اشتباك بين فريقين لا يعرف أحدهما الآخر^(١)

كانوا يأخذوننا إما لقتل، أو لم يكن القصر حليفنا لملوكوارث

(١) نعرض في هذا الحديث جيداً لأنه يوضح مسار التاريخ كله - المؤلف

والثكنات والعراب والندن المتهدمة والمزارع الجرداء تصبغ من صيب آبائنا وأمهاتنا، وإن انتصرنا كان الفخر والمزِّ والمباهاة يسجل للغير، ونحن المرائس المتحركة خلف الكواليس.. لم نحظ بشيء من هذا النصر

أخي! نهضة وحول عظيمان ظهرا بمدك، الفراعنة والجبابرة وطغاة التاريخ يدكوا طريقة تفكيرهم، لهذا فرحتنا!! حيث أن القدماء كانوا يعتقدون بأن ارواحهم خالدة وبعد موتهم ستظلّ تحوم حول مقابرهم، ومتى ما بقي الجسم سالماً ستظلّ رابطة الروح معه كما هي قائمة، ولأجل هذا الاعتقاد ارغموني وارغموك على رصف هذا الصحور الهائلة المميّنة

ولكن مع مرور الزمن أمسوا أكثر تنوراً وأصبحوا لا يفكرون بالموت من بعد، لهذا تركوا تلك العقائد البالية وكان لنا - هذه - بشرى سارة، بشرى النجاة من بناء تلك القبور وجلب ثمانمائة مليون صخرة من مسافات آلاف الكيلومترات ورصمها على بعض..!!

ولكن يا أخي!! لم تغتر هذه البشرى طويلاً، إذ سريراً كانتمل إلى قرانا وأجبرونا على العمل بمدك، ومرة أخرى تكسرت نفس الأمساء وأمره أخرى حملوا على هاماتنا واثلاثنا الصخور ولكن لا لقبورهم هذه المرة، بل لقصورهم وأسوارهم العظيمة، تلك القصور التي امتزج بناؤها بدمنا ولحمنا.

أخي: مرة أخرى كنا نحرم كثير الناحور في دوامة اليأس، متلهفين إلى نافذة يطل منها النور. فكانت نهضة «أنبياء عظام» زرادشت العظيم، ماني^(١) الكبير، بوذا الكبير، كنغشوريوس الحكيم، لاو تسوا المتصق... كانوا آمالاً تبرهم في الطريق، لا يدان الآلهة بعث هذه الشخصيات العظيمة لإيقاظنا نحن المحرومين والمستضعفين من الدل والميوذة والهرمان وليحلوا الإيمان والعبادة محل الظلم والرق

ولكن يا أخي: هؤلاء المبعوثون من طرف الآلهة كانوا يقدمون دون أن يأنهوا بنا ولم يدكروا اسماً لنا، كانوا يذهبون إلى قصور الحكام مباشرة، فكشفيوريوس الحكيم مثلاً، الذي كان يشهد من المجتمع والآنسان، وكنا نصدق ما يقول، لقد ذهب إلى وزارة «نو» وأصبح نديماً لأمرأ الصبي

(١) ماني: اسم وشام ظهر في زمان (أردشير) وبعضهم يقول بل في زمان السلالة (پورام)، ظهر بعد عيسى (ع)، وقد قتله (پرام بن هرم) اسم كتابه (أورنك) وعقائده سريخ من عقائد الزردشتيين واليهود والمسيحيين. يقال إن أصله من نسل الملوك الآشكانيين، وأباه من رجالات (هملان)، هاجر إلى (بابل) وولد (ماني) في تلك البلاد عام ٢١٦ م، أدهى القبوة بعد أن اطلع على الأديان الموجودة وسكن نفسه (فار قليط) الذي أخبر عنه المسيح ومن أقوال ماني «يشرح الأنبياء بأوامر الآلهة أحياناً من الهند بواسطة (زردشت) والآن أرسلني الله لتشر دين الحق في بابل» و «أرسلني الله نبياً من بابل حتى تصل دعوتي العالم أجمع» (المعجم).

وبوذا - حيث كان من كبار أمراء «بنارس» قد قاطع الجميع وغار في نفسه ليذهب إلى «نيروانا» - التي لا أعلم أين هي - ولهذا تراه مكتئباً ليخرج بأفكاره العظيمة إلى الجيع...!!

وزرادشت الذي كانت آذريجان محل بعثته - ويدون أن يكلمنا نحن المحرومين والمضطربين - ذهب مباشرة إلى بلخ فمكت في بلاط كشتاسب.

و«ماني» الذي تحدث إلينا عن النور وتهجم على الظلمة، ظل يهمس في آذاننا - نحن المسيحيين والمعتقدين في الأرض - عن الظلم والظلمة، وهكذا لم نزل نتحايل على انفسنا ونقول: - اجعل هذا هو المنجي الذي ظهر لإيقاظنا، ولكنه انصح عن لب كلامه ضمن كتاب اهداء إلى الملك شاپور الساساني، هذا وقد ألقى خطاباً أثناء حفل تتويجه وكان يفتخر بمرافقته إلى سرديب والهند وبلغ ومن ثم تراه يبرر هزيمتنا بهذه الأكتشودة:

«كل من يهرم ويدمر فهو من ذات الظلمة»

«وكل من يوق ويتصر فهو من ذات النور».

ولهذا ترانا - نحن المهزومين المستضعفين - نملاً طول وعرض التاريخ دوماً

أخي: ذهبت «أنت» صحتة لهذه الأبنية الشامخة و«أنا» منذ

رحبت «أنت» صرت قريباً لهذه القصور الساحقة. وعلى حين غرة وجدت نفسي تحت قيود وتير من هم خلفاء فرعون وقارون - الذين يبيعوني ويشتروني متى ما طاب لهم ذلك... أجل يا أخي... لقد ظهرت بعدك طبقة رسمية تدعى «الكهنة»، ففي فلسطين وإيران ومصر والصين، يل وفي كل مكان يوجد انسان محروم مثلي... كان لابد لي أن أجز على ظهري الصخور لأبني بها تلك القصور المصنفة والمعابد والهيكل الرعية

وبعد هذا وغير هذا، فإن «خلفاء الاله» وهند «النبي» كانوا يطوقون رقابنا بقلادات أخرى... فباسم الزكاة يسرقون وينهبون وتحت شعار الجهاد يمتدوا الى ميادين الحروب، حتى انهم كانوا يرموننا على ان تقدم اطعالتنا قريبين على مذبح المعابد والهيكل وتحت ارجل الاصنام

أخي، أندري ما أعانيه... لا: فإن الهياكل كلها عامرة بدم اولادنا الايرياء... وهكذا أصبحتنا - مرة أخرى - لعبة بيد الالهيّة إضافة الى وارتني فرعون وقارون

أجل... اختصت الكهنة المعجوس أغلب أراضيتنا وهكذا فعلت الكنائس حيث كنا عبيداً بل اداة كادحة لهم

دفعونا لبييد المعابد والقصور المصنفة في الروم والهيكل العظيمة في الصين... وكان الهلاك من نصيبنا... أما النصر والعزّ فملكته

والقسمة وتجار الدين ووارثي فرعون وقارون.. !!

و«أنا» الذي عشت بعدك آلاف السنين وشاهدت حتف رفاقي واخواني ولهذا انتابني شعور بأن الالهة أيضاً تكره وتبغض السيد ورويدا رويداً أحسست بأن الدين هو في حد ذاته قيد قيدونا به والكهنة والقسمة ورجال الدين هم أنفسهم وسائل أخرى لاستعبادنا واستحكام هذه القصور وتلك القبور

ومرّت الأيام.. والعلماء والعلماء النظام - الذين كان تفكيرهم أفضل منا - كارتطو القائل بأن، بعض الناس ولدوا لأجل أن يكونوا عبيداً وبعضهم جاءوا الى هذه الحياة ليكونوا سادة ونبلاء اشرفاً.. لهذا أيقنت بأننا ما جئنا إلّا لتكون رقيقاً وليس لنا حظ غير هذا، وحظنا ما عساه ان يكون سوى الظلم والجور والضرب والتحقير والعبودية، ولا شيء غير هذا.. !!

ولكن يا أخي فجأة وعلى حين مره علمت ان رجلاً هبط من جبل وركب الي معبد مرمراً، «أي رسول الله»

ومرة أخرى، كادت ارتماشة مهيبه تحبس انفاسي.. هل ان خدعة أخرى تكمن وراء هذه الصيحة.. ولكن فتح فاه فقال - وأنا لا أصدق -:

اني بعث من قبل الله القائل: «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِي



استضعفوا في الأرض وتجعلهم أثمة وتجعلهم الوارثين»^(١)

يا للعجب...!! كيف أصبح الاله يكلم العبيد والمستضعفين؟
وبشرهم بالنجاة ويعددهم بالزعامة والقيادة، ويجعلهم وأرثى
الأرض؟. كذبت لا اصدق، قلت: هو الآخر كياقي السبشرين
والمصلحين و«الانبياء» في ايران والصين والهند... لا بد به احد الامراء
التيلاء الميعوتين لتفديد القدره والسيطرة وتكديس القوى ضد الشعب
قالوا: لا، انه يتيم والكل قد شاهدوه مراراً وهو يرعى الاغنام وراء هذا
الجميل، قلت: ماذا اسمع...!! كيف هي مشيئة الاله هذه المرة... يصطفى
رسوله من بين الرعاة؟! قالوا: اجل، هو آخر حلقة من سلسلة الانبياء
الزعاماء، حيث ان اجداده كلهم كذلك، دابت ايمادي في ظل رغبة ملؤها
شوق صارخ وصيحة خرساء، إذ ان نبياً يبعث «مساء» ولأول مرة...!!
أمنت به وايقنت برسائله لأنه جمع شمل اخواني ورفاقي الفقراء
حول

بالل، العبد الحفي، سلمان، أسير من اسراء ايران، أبو در،
الياس المجهول وسالم، غلام روجته خديجة.. الخ، كل هؤلاء
اليؤساء اليائسين، كل الاسراء والعبيد وكل المظلومين والمفكرين
اصبحوا نادة قومهم

صدقته وأمنت به لأن مصره! كان ذا حجرتين أو ثلاثة صعب
من طين حيث اقام هو بنفسه البناء. ويلاطه لم يتعد حفة من الاخشاب
المتراصة على بعض من سفن النخيل!! اجل، هذا كل ما كان يملكه
ويؤثر به على معاش الناس من جراء بناء قصره هذا!! هكذا كان
وهكذا رحل

جئت... هارباً من الكهنة الممجوس... من الظلمة الذين كانوا
يسوقوننا كاليهاثم الى حروبهم التافهة ويزعماتهم الطائشة..

فررت واعتصمت به... قدمت الى مدينته وعشت معه ومن
حولتي رفاقي الرقيق والاسراء والمحرومون وجميع مستضعفي العالم..
قضيت أيامي معه حتى راح في عقوته السرمدية تاركاً وراءه شمسا
خلف ستار داكن

أخي، وصفاة رأيت المعابد العظيمة تشق عنان السماء مرة أخرى
وتعتلي باسم ذلك النبي الأمي في حين ان السيوف التي كتبت عليها
آيات «الجهاد» كانت تهدد وجودنا في كل آن .

ومرة أخرى امتلأت بيوت النساء والخزائن بأسواق نهيوها
وسلبوها وانتزعوها عنوة منا... ومرة أخرى جاء خلفاء هذا الرسول
ومسخوا القرآن واخذوا شبابنا عبيداً لتصويرهم، باعوا امهاتنا في
الأسواق البعيدة وقتلوا رجالنا باسم «الجهاد» في سبيل الله، واستولوا
على كل ما نملك باسم «الركاة».

يأتس قدس دى مي مليي اجل يشست... لا أدري ما افعل؟ لقد ظهرت سلطة جديدة تخفي خلف رداء التوحيد نفس الاصنام التي حطمها ذلك «الرجل» وتوقد في مساجد «الله» نار الكذب والخديعة. ومرة أخرى تكررت نفس المأساة، تكررت نفس الوجوه الفرعونية الفارونية التي نمرها انت يا أخي جيداً... احضروا باسم الله وخلافة رسوله يضربون الناس بسوط الدين... ونحن - مرة أخرى - مفيننا في ازقة الصبورة لنهني مسجد دمشق العظيم!.. ومرة أخرى دوت هنا وهناك صيحات تدعو الى الحرية... قصورنا درة في نوعها وطرارها... مساجد معيرة للمقول... كالتصر الأصغر في دمشق ودار خلافة الف ليلة وليلة في بغداد... كل هذا كان بمن دنا وحياتنا ولكن هذه المرة باسم «الله»

ومره أخرى صرت لا اصدق ان هناك خلاصاً ونجاة... لا ان المبودية والموت الأسود كانا مقدوران لنا

أجل... من كان ذلك الرجل؟ ترى هل كان يخفى خلف تلك الرسالة المروحة لخداعتنا؟ كان مؤسس هذه الايدولوجية التي حذونا في دهاليزها ووزناتها كالحرق البالية... اجل كان هو الداعي لحرق مزارعنا وشن الفارات على ممتلكاتنا وقتلنا كالثباب... لا... كلا... ف «أنا» و«هو» أمسينا ضحايا...؟؟

لا أدري... لم يكن هناك أسامي سبيل آخر أسلكه... لمن

النتيجي؟ الى الكهنة المجوس!! كيف ذلك؟ الى المعابد والهيكل التي كانت ولا زالت قائمة على أسامى الظلم والتزوير!! الى القادة... الى كل الذين ينادون بالحرية والوطنية؟ لا... لأن هؤلاء كلهم فقدوا مكانتهم ومناصبهم وسطوتهم الفايرة بعد صيحة هذا «الرجل» لهذا تراهم يتكالبون لأجل احياء ذلك التراث البالي المتهرىء من جديد.. وبعد هذا وغير هذا... الى أين أقدر أن أذهب...!! الى المساجد؟ ولكن ما افرق بين هذه المساجد وتلك المعابد...؟

وبعثة... يا أخي... رأيت السيوف التي حقرت عليها آيات «الجهاد»... والمساجد التي كانت طامحة باسم «الله»... والمآذن التي كان يدوي فيها اذان «التوحيد»... والوجوه المعروقة التي جلست على سرير الحكم باسم الخلافة وتحت شعار - الامامة والاختباء - تنهج ذلك «الرسول»... رأيت - يا أخي - كل هذا مرة واحدة وهي تلقي في بؤرة واحدة وذلك لأجل جهننا في ارقعة الاستعباد وساحات الصروب والهلاك والدمار والتكفير و...و..

لأبد أن تعلم يا أخي أن واحداً آخر «سأ» أصبح ضحية لهذه الجرداء القاتلة في مسجد يذكر فيه اسم «الله»... أجل إنه الامام علي، قريب وحبيب ذلك «الرسول» فقد اعتيل في محراب «الله» ولاقى الظلم والبدون هو وآل بيته تسلي وقبلك وميل جميع الممدين والمحرومين على امتداد التاريخ، حاربوه وعابروا على بيته باسم

وذلك «الكتاب» الذي لا ريب فيه، قبل ان يصبح اداة لاستعبادي ونهبي وقتلي، وصح فوق الرماح ليكون الفضل ولتكون النكسة من نصيب ذلك الرجل

يا للهول... هذا كل ما كان... اذ اني وجدت بعد انقضاء خمسة آلاف سنة كيسة قاتلة، رجلاً يصكي لنا عن «الله» ولكنه لم يعرض حديثه للأمراء والنبلاء بل «لنا» - لم يكن كيودا ليذهب الي «نيرونا» ولا كالمهيان ليخدع الناس ولا كالمرفاء الذين ييغون - الوصول الى «الله»

أجل فقد وجدته رجل جهاد وعدائه... فان احاء - عقيل - اصبح الضمعة الاولى لهذه المدالة الجافة الصارمة... رجل، كانت زوجته بنتاً لذلك «البلع» الكبير... الخ كانت تستعمل وتعمل ككل السمالات المبرومات، تتحمل الادي وتتجرع القدى فتدق الجوع والضمنى بلحمها ودمها...

أجل يا اخي... وجدت رجلاً كان اولاده وارثين لتلك الراية الحمراء التي ظلت تقور دماً حاراً نحو السماء على امتداد التاريخ، ولهذا تراني بعد مضي خمسة آلاف عام ومن هول تلك المعابد والانيية التي احرقها «انا» وتعرفها «انت» ههنا ضحايها... ومن خوف ذلك الاستبداد وتلك الفرعة الي اعرفها «انا» وتعرفها «انت»... أجل بعد

مضي كل هذه الاعوام تراني اعتمس بهذا «البيت» اللبني الوصيع... المهجور، الصامت... كأنه بيت اموات... ظل «هو» وحده، دموا كل رفاق ذلك «البلع» الكبير... ارتجلت روجته لا يدري علام يلوى... كان يبكي لأجل ما ابتئياً به «انا» و«انت» وهو يجرى بين بحيل سي التجار... وماجي يبكائه «الله»

أخي كان «هو» والذين معه كلهم «منا»... من المحرومين... تراه ولأول مرة تستخدم القصاصة والبلاغة في بيانه وخطاباته القراء لأجل انتقادنا وتوعيتنا، لا لأجل تبرير وتوجيه محروميتنا وتدعيم الانظمة الحاكمة... كان حديثه أفضل من «دموستيس» ولكن لا، لإعفاء جموعه الشخصية فقط... كان كلامه أبلغ من «يوسويه»^(١) الخطيب ولكن لا لتسلق في بلاط لوي بل لأجل المطوليين ليصرخوا بموجه التلمذة سمع لم يشهر للذود عن نفسه وعائلته وقومه... ولا لحماية المقتردين المتصنين... بل كان اسحق واصف من «سيارتاكوس» لأجل خلاص من الذل والعبودية... كان يحكر أحسن من «سقراط» ولكن لا لأجل اثبات الفضائل والاحلاقيات التي عليها طابع النبلاء المتميزين، بل

(١) جاك بيبسي يوسويه، لاهوتي وواعظ وكاتب فرنسي، ولد في ديجون عام ١٦٢٧، ومات في باريس عام ١٧٠٤، اشتهر في دروسه بمواظبه ويتأينه التي ألقاها بين ١٦٦٧ و ١٦٨٧، تحول إلى فيلسوف ومؤرخ حرصاً منه على فائدة تلاميذه، فكتب «المقال في التاريخ الكلي» الذي حاول فيه التركيب بين النظم الإلهي والاعادية الاستاتيية انظر معجم الكلاسيك، جورج طرابيشي، ص ٢٠٣

لإحقاق القيم الإنسانية الأصيلة لأنه لم يكن من ورثة القراعة والكهنة ، فهو لا يملك محراباً ولا مسجداً ، أنه شهيد المحراب.. «هو» أسرة حسنة للمدانة والتفكير البناء ولكن لا ، لزوايا المكتبات والمدارس ، وهو لا يندّ من العلماء الأرستقراطيين الذين يصلحون لأن يوصفوا في المعارض نبيح ، في حين أنهم من شدة التفكير العميق لا لا يهتمون مهاترات الناس ولا يعانون شيئاً من عقابهم ولوعاتهم وجوعهم الفاني

انه في ذات الوقت ، حينما تجول روحه العظيمة في أرجاء السماوات ، يسمع ، انين الاطفال اليتامى فتنتابه رجعة محرقة يستوى على كيانته كله

انه يصرخ لأجل جور جرى على امرأة يهودية في حين انه نسي شدة ألم ضربة الخنجر القاتلة في المسجد ، قائلاً ، «فزت وربّ الكعبة» !

أجل يا أخى ، انه ملك البلاغة والكلام المذهب الساحر ولكن حديثه هذا لا يشابه أبداً بالشاهامة ، تلك الملحمة الحماسية التي تحوى على ستين ألف بيت ، حيث تلك خلال هذه الملحمة كلها لا تجد حديثاً «عنا» سوى مرة واحدة فقط .. أجل مرة واحدة تحدث القاصير «فردوسي» عن واحد «ماء» يدعى «كاوة» ، الحداد الحر ، الماصل من أجل الحرية والنهضة والغلاش والتجاة لرفائه الكادحين ، ولكن جللنا الجصور هذا صاع وظلّ مجهولاً قبل ان تشر عهضته ويضع طريته الى الشاهامة .. أجل لن تعرض شخصيته بشكل واضح ، علام ؟ لأن

شخصية «فريدون» التيلة ونسبه المرمي طغيا على بطولة هذا الرجل الكادح .. ولذلك فإننا لا نرى اسمه في (الشاهامة) إلا خلال أبيات معدودة فقط .

والآن يا أخى ! انعيش في عصر وسيمتج يحتاج «إليه» .. هو لا يقارن بياقي الحكماء ولا يشابه المياقرة واللمماء ، إذ أنهم كانوا عياقرة فهم ليسوا رجال أعمال .. وإن كانوا رجال أعمال بل ومن الكادحين هم ليسوا مفكرين وعياقرة ، وإن كانوا في ذات الوقت رجال أعمال كادحين وعياقرة مفكرين أيضاً فهم ليسوا رجال مياذين الحروب والجهاد وإن اجتمعت .. بفرض الحال .. الثلاثة عندهم في آن واحد ، فهم ليسوا أقياء واركباء وإن توفرت لديهم كل هذه الخصال فهم لن يعرفوا الله حق معرفته بل تراهم يتخطون في دوامة مظلمة عشواء

انه وجب كل هذه الأبعاد الإنسانية كواحد من الكادحين معني ومثلك تماماً ، يكذب ويصعب ، وينفس الأثام التي خطب تلك المسطور الملكرية في «هيج البلاغة» يدفع بمجرائه في الأرض ليسفر بشراً أو ليحدث قناة ويصع الماء على الأراضي البائرة اليابسة ، كأحد الصال والزراع تماماً ولكن لا لهذا ، وذاك ، بل لنفسه ، يصرخ في قعر القنائة جروني الى ، لا على ، وحينما يبروه الى فوق وهو مسطى بالوحل ، ينهمر الماء من تلك الأرض العطشاء المحرقة نسحر السدينة ، ففترح بنوهاشم ، ولكنه قبل أن ينتفس الصعداء ويسترح قال ، «طوبى للذين

سيرثوني، فإنهم لم يحصلوا على قطرة من هذا الماء.

أخي والآل... وفي هذه الحالة حاجتي اليه ملحة ولا بد أن عيم عقله يمتتي في هذا الطريق الشاق المليء بالمصائب والويلات، لأن المضاربات والثقافات والأديان والمذاهب تثيرت وأدبرت وانتقلت على عقبيها وارغموا الإنسان ليكون حيراناً مستهلكاً اقتصادياً أو حيراناً لا يعرف سوى ذاته والاستغاة فقط، صارقاً صره في أركة المعابد، وقد يكون إنساناً فكوراً عاقلاً ذا بصيرة ولكن دونما عاطفة أو احساس، كأنهم لا يعملون بين جنبيهم قلب إنسان، أناس قشريون، غلطاء، لا يدركون معنى للمحبة، وقد يكون رجل حب واحساس وعاطفة ولكن دونما تدبر وتنقل، عقلهم خالي من التفكير السليم، دونما علم - جهال، دونما منطق واستدلال... غير أنه رجل كل هذه الخصال... ربّ الكدح والنصب والعمل... ربّ البلاغة والقصاحة.. ربّ الجهاد والحرب.. ربّ الاخلاص والوفاء... ربّ العذاب والحرمان... ربّ السكون والسكوت... ربّ الصرخة المهيبة... ربّ العدل والقمسط

والآن يا أخي... نعيش في مجتمع تسطر الأعداء على نصف أو بالأحرى على كل العالم، فيدفعون جيولنا هذا إلى استعباد جديد لم يأقنوه من قبل

والآن إذا نظرت إلى ظواهر الأمور، وبشكل قشري وسريع خاطب ترائنا أناساً أحراراً، لستنا هيئداً لأحد أو فئة أو تكتل اجتماعي

أو سياسي أو غير ذلك، لأن المبردية وقضية الرقيق أمست من القضايا الرجعية الحالية!!... ولكننا - يا أخي - أبليما بصمودية جديدة انقطع واتمس من عبوديتك «انت»... نهوا تفكيراً... قيدوا قلوبنا وسلبوا إرادتنا... أنهم يجعلوننا تنمو في صماء شاحن باستعباد متوج بشمارات الحرية ويقدرات الملم علم الاجتماع، الثقافة، الفن، حرية الجنس، حرية تقديس الشخصيات، حرية الاستهلاك وحرية الاستيلاء والنصب... أجل بعددات هذه العلوم استأصلوا الغاية والإيمان والاحساس بالمسؤولية والاعتقاد بمذهب «معين» من ادمغتنا وغوسا.

والآن يا أخي... فنحن أمام هذه الانظمة الحاكمة تشبه إلى حد بعيد، الاوعية الملوثة الجميلة الجوفاء، تستوعب كلما يصب في ادمغتنا وهوسا.

والآن... باسم الفرق والمذهب... باسم السلالة والنسب... باسم الأوطان والحدود... وحتى باسمه «هو» وكذلك باسم متارعيه ومخاصميه... باسم هذه التمايز المصطنعة قطعوا ومزقونا قطعاً صغيرة ليسهل عليهم بلتنا... يا للفرقة... يا للشقاق والنفاق... يا للتفتت والتبثر...!!

جعلوا ماحصريه وشيخته يتفتنون على أنفسهم ويمزقون رفاقهم واخوتهم... أعداء الداء مع بعض... لماذا؟ لأنه لا يسيل يديه حين

الصلاة .. يعتلي دم الانتقام في وجوههم . لأنّ ذلك يسجد على تربة وهذا لا يسجد عليها

اينوا في قوسنا الاشتباك والتزاع والمشاجرة بشكل تطيع . تقوا رواد الفكر الاحرار وأبدوهم الى اقطار بعيدة عما في حين انهم بدأوا يمثلون دور الراعي المحافظ والناشد عن رعيته وقطيعه !!

أخي، يا أخي .. لقد كنت تعرف سيدك ومولاك وكذلك ألم الخيران والسوط جيداً دونما تخيط أو إهمام . كان يسيراً عليك ان تشعر به وبحسه . اذ كنت عارفاً ببيودك . وتعرف أيضاً سبب هذه العبودية . وتدرى متى أصبحت عبداً ومن هم الذين استبدوك؟ ولكن لأنّ بسماً بنفس مأساتك هذه ولكن بدون أن نعرف الذين جعلوا عبيداً لهم في قرنتنا الحاضر هذا، ولا ندري من قبل أي فئة أو جهة نسلب ونهيب وكيف وقصنا في شرك الدل والاستسلام والحصص وانحراف الافكار والمبادئ والبيودية المشؤومة السوداء الرهيبة

أخي، يا أخي، الآن، يجرؤوا كالبهايم الى حظيرة الرق والاستعباد ليستغفروا دماءنا ويستغلونا أكثر بكثير من عصرنا وجيالك .. ليس امامنا طريق سوى تشغل هذه القوى ورؤوس الأموال والمصانع والثروات الفنية الهائلة والانتاج، يجب أن ندير عجالات هذه القوى بدمنا ولحمنا واضطهادنا واستصافنا ولا يصيبنا سوى ما يسد رمقنا او لا سد .

الجرمان والتميز العنصري والظلم والجور في عصرنا اتد وأكثر من عصرنا ولكن بنماب جديد وطريقة اجدد

أخي، يا أخي ... هذا عليّ تراء يقدم حياته كلها لأجل هذه الكلمات الثلاث ..

خمسة وعشرون عاماً كلها تصحية وقضاء ونضال من أجل خرس الايمان والعقيدة في قلوب اناس غلاظ متوحشين مستغربين، خمسة وعشرون عاماً آخر قضاهها في صمت مرير وصبر قاتل كان في عيته تنجي وفي حلقه قذى من اجل وحدة المسلمين اتجاه الامبراطورية الرومانية والامبراطورية الالمانية، كذلك خمسة وعشرون عاماً آخر من بقية حياته كانت مقعمة بالجد والجود ومملوءة بالفتاب واللوعة من اجل استقرار العدالة الاجتماعية ومحو كل آثار القصد والفضائل بسسه الصبار ذي الثقل لنكون احراراً نملك مصائرنا ولا نعبد إلا الهياً واحداً مقتدراً عرياناً، ولكن يا للأسف لم يقدر ... لم يقدر .. مع هذا فقد علمنا بمنهجه ومدرسته وطريقه وكذلك الزعامة والسيادة دوماً .. مهيج العدالة ورعاية الناس وعلى هذا مهر تارك وراه ثلاثة شعارات وعلى اثرها فقد قدم نفسه وعائلته وكل ما يملكه على منصة الاستشهاد والقضاء وذلك لأجل هذه الكلمات الثلاث الخالدة في مجرى التاريخ .

المبدأ ... الوحدة ... العدالة الاجتماعية ..

توليد . الحضارة - الدين

حوار مع توينبي^(١)

قال لي: ذهبي، اطرح هذه المسألة الشخصية قبل أن نبدأ حوارنا أنت تعرف أنني رجل مؤمن وانظر إلى الدين من منظور كونه حقيقة وضرورة ماثلة إلا أنني أعاني الشك والتردد هي أفكارتي وميولي السياسية، فكثيراً ما أشعر بالحيرة في كيفية الجمع بين نرجسي الدينية التي لا تتلاءم بطبيعة الحال إلا مع نظام اجتماعي -سياسي مثالي، وبين أفكارتي السياسية المتأثرة والمحمية جداً بالنظام العلماني. فأني بصفتي مسيحياً مؤمناً أدعو إلى نظام حكم ديني وبصفتي نصيراً للديمقراطية تؤيد نظام الحكم العلماني وهذه الازدواجية جعلتني أعاني دائماً من صراع واحترام عنيف في أفكارى

قلب أنه صراع منطقي وضروري وليس بوسعي إلا أن تختار

(١) أرنولد توينبي (Arnold Toynbee)، مؤرخ وفيلسوف إنكليزي (١٨٨٩ - ١٩٧٥)، أكد في مؤلفه الرئيسي «دراسة في التاريخ» إرادته في بدء فلسفة التاريخ انطلاقاً من دراسة إحدى وعشرين حضارة من مؤلفاته الأخرى «الحرب والحضارة»، «الحضارة في مستنقعاتها» انظر معجم الفلاسفة، جبريل طرابيشي، ص ٢٤٦

وأحدًا وتدع الآخر

قال: انظر! أنك تعاني نفس هذا الصراع بشكل أكثر حدة لأنك مزجت الإسلام مع أفكارك السياسية، اللهم إلا أن تقول: أنك لا تؤمن على الإطلاق بنظام الحكم العلماني وهذا ما يستبعد تصوّره لأن منهجيتك في التفكير وحتى وجودك في هذا العغل يدلان على أنك تؤمن إيماناً راسخاً بالحرية والديمقراطية إذن أنت تطالب بنظام حكم إسلامي من جهة ونظام حكم علماني من جهة أخرى، فكيف يكون ذلك؟

في هذه الأثناء تحدث شخص ثالث كان جالساً معنا وقال بمزاح: «إن حلّ هذا التناقض هو أمر سهل بالنسبة إليّ» (وأشار إلى) انظر! أنه سيثبت لك الآن أنّ نظام الخلافة الإسلامي هو نوع من الحكم العلماني!!

قلت: كلا، على الإطلاق، فالخلافة ليست نظاماً علمانياً بل حتى لا يمكن اعتبارها حكماً إسلامياً. إنها حكومة عنصرية جاهلية مصبغة بصبغة إسلامية. فلم تقم الخلافة على أساس إسلامي وإنما استغذت الإسلام وسيلة للدفاع عن نفسها وجعلت منه حارساً أمنياً يدافع عنها. قال توينبي: لا، هذا ليس صحيحاً، أنك تريد أن تنسب أفكارك وعقائدك الخاصة إلى الإسلام، بتصوير آخر أنك لا تطرح الإسلام كما هو بل تطرح إسلاماً خيالياً يجب المصطنع في وقتنا الراهن. أنا اعتقد أنّ

عليك أن تتفق بحقيقة الإسلام. فالإسلام هو الشيء الذي كان موجوداً لا الشيء الذي تنصي أن يكون موجوداً. ثمة فرق بين الإسلام الذي تنمّاه أنت كمعتقد متأثر بالثقافة الاشتراكية والقائد الديمقراطية وبين الإسلام الذي جاء به النبي محمد (ص) في القرن السابع الميلادي وأمس به العرب وصلوا بأحكامه منذ ذلك الحين

قلت: أن سمحت لي بإكمال حديثي لفرب أن انتقادك الوارد هذا ليس وارداً عليّ

قال: ماذا تعني؟ فإن كان الانتقاد وارداً كيف لا يكون وارداً عليك؟

قلت انتقادك وارد لأن هذا الكلام هو كلام صريح فإنا نجب أن لا ندس عواطفنا وأمرجسها الغاشقة في العفائق إلا أن هذا الانتقاد ليس وارداً عليّ لأنك لو استمعت إلى كلامي لرأيت أنني لم فعل ذلك

قال: حذراً، أنا استمع إليك

قلت: أنني عندما أطرح فكرة الحكومة الإسلامية أقصد بذلك حكومة النبي محمد (ص) وبعض خلفائه الأوائل الذي كانوا يعملون بسنته، في حين أنت تنظر إلى خلفاء الامبراطورية العثمانية أو إلى حكومة الخلفاء في إسبانيا وبندها وسوريا أي إلى الحكومات التي ينفر منها المسلمون المثقفون أكثر من غيرهم

في البداية، عنيّا أن نعرف ما هي الحكومة الدينية؟ الحكومة

الدينية هي الحكومة التي يحل فيها رجال الدين محل رجال السياسة بتبعية آخر الحكومة الدينية هي حكومة رجال الدين على الشعب.

الاستبداد هو من المعالم الطبيعية التي تنسب بها هكذا حكومة لأن رجل الدين سيضلل منصب خلافة الله وتنفيذ أوامره في الأرض وفي هذه الحالة سوف لا يكون للناس حق لبدء الرأي والاستفتاء والاعتراض. فالزعيم الديني يطلي نفسه حق الزعامة والقيادة مكرراً على قيمته واعتباره الديني لا على قيمة آراء الناس وانتخايمهم، إذن هو حاكم غير مسؤول وهذا النوع من الاستبداد هو أسوأ أنواع الاستبداد والدكتاتورية الفردية لأن الحاكم الديني يظن أنه خليفة الله وظله الممدود في الأرض فهو يسيطر على رقاب الناس وأموالهم ونواحيهم ولا يتردّد في أي نوع من الظلم والاسراف والاعتداء بل يعتقد أن هذه الأعمال مفروضة برضا الله تعالى عز وجل، والأمور من ذلك أنه يعتقد أن معارضي حكومته وانتهاج الأديان الأخرى لا يستحقون حتى حق الحياة لأنهم هم الصالحون الذين غضب الله عليهم وهم أعداء دين الله والعق وأن الاعتداء على هؤلاء وسلب حقوقهم هو أمر عادل بل هو العدل الإلهي يميده!

لقد حكم القساوسة في القرون الوسطى بلاد أوروبا باسم الحكومة الدينية وقد رسم فكتور هيجو تصويراً دقيقاً بجهد فيه مساوئ هذا النوع من الحكم

إنما الاسلام، فلا يمكن إثارة هذا الأمر فيه لأن المجتمع الاسلامي لا يوجد فيه رجل دين بالمعنى الذي نراه في الأديان الأخرى، فلا توجد فئة خاصة باسم (روحانية) الكلمة التي تعادل كلمة «Clerge» باللغة الانجليزية الدين في الاسلام ليس مهمة والارتباط بين الفرد وربه في هذا الدين هو ارتباط مباشر وأنّ تحصيل علوم الدين في الاسلام لا يقتصر بقية خاصة بل فرض هذا الدين طلب العلم على كل مسلم ومسلمة ولم يسمح لأحد بالتقليد في أصول دينه كما فرض التليغ الديني والدعوة إلى البدي، الأخلاقية على جميع لشعوب المسلسلة ولم يخف جماعة بهذه الدعوة للكرامة فلا يوجد في الاسلام رجل دين رسمي أو مبلغ رسمي أو مفسر رسمي أو مندوب ديني رسمي، فالجميع جود مبلّغون يرتبطون بالعق بالمعاني، وهم في الوقت ذاته مفكرّون مستقلون مسؤولون عن أعمالهم وعقائدهم وهذا هو الجهد الفردي الليبرالي في الاسلام الذي قدّم أمريكا دجلاً أنه ينتمي إليها وهو أساس الديمقراطية الإنسانية التي تضمن حرية الفرد وتحافظ على حقوقه حيال المجتمع وعلى قدرته ومركزته^(١)

(١) صحيح أن هناك جماعة خاصة باسم «علماء الدين» تلورت بسبب تعقيد المسائل واتساع رقعة المجتمع الاسلامي إلا أن هذه الجماعة هي جماعة من رجال الدين العاديين وليس جماعة رسمية فهي جماعة قابلة للانتقاد والاعتراض وليست جماعة مقدسة غير مسؤولة، ومعصومة مصانة من الخطأ

وداعاً...
يا مدينة الشهادة

قدوا في طوس: خير الناس كلهم
 ما ينفع الناس من قرب الزكي وما
 وليس شترهم: هذا من العبد
 على الزكي يفرج الزجس من صدر
 له يساه فتقد ما شئت أو قدر
 والى احمد مظلومون قد قهروا
 مضربون ثلوا عن عقر دارهم
 كسائهم قد جنوا ما ليس يفتقر

* * *

ما أبلغ مزار سلطان أرض طوس وما أفصح قبة الذهبية التي
 تملو سطح الحرم، الحرم الذي يرقد فيه الخليفة والامام، الجلال
 والشهيد

ماد، أقول ؟

يرقد هارون في وسطه والامام في إحدى رواياه لأنهم دفنوا
 الامام الى جانب الخليفة تكريماً له

كان مدفن الامام في البداية داراً لحفيد بن قحطبة وكان صحن
 حرم الامام يستأنأ نايماً لتلك الدار وهو البستان الذي سُمي الامام بعينه
 يا للعجب كم يستطيع المعمار أن يكون معلماً ومفهماً !

المالم يتحدث اليوم عن «فلسفة العمران» ولكن في أي مكان من الأرض يستطيع المعمار أن يكون فيلسوفاً عميقاً كهذا؟

يتحدث المالم اليوم عن «فلسفة التاريخ» ولكن في أي زمن استطاعت «فلسفة التاريخ» أن تتجسم في شكل بناء كهذا البهاء؟

أربعة عشر قرناً مضت وهم يتحدثون عن «إسلام التاريخ» و«تأريخ الإسلام» ويدرسون الحقيقة والإيمان والتحرير والشفقة والحق والتعصب والخلافة والامامة والظاهر والباطن والكفر والإيمان والإسلام الحاكم والإسلام المحكوم و...

ولكن أي محقق ومبلغ وكاتب ومؤرخ ومتكلم ومفسر وفقه ومحدث.. استطاع أن يعمد الحقيقة كما جسدتها هذا البناء؟

من منهم استطاع خلال هذه القرون الأربعة عشر أن يجمع كل هذه الرموز والأسرار والمفاهيم والمواظف والاجتهادات والبحوث والجدل الديني والصراع السياسي والمذاهب الفكرية والتضاد الطبيعي والملاقات الاجتماعية والصراعات التاريخية و... كل شيء في بساء واحد وقية واحدة؟ بكلمات متقوسة على الحجر وعبارات مرسومة على النقطة والذهب والرحام وعبارات مكتوبة على «الابواب والجدران» وتقرش في «البيوت النابية» وفي قوائم الأنظمة والمنظومات...

تأملوا في اسم «البيوت النابية» للحرم:

دار الحفاظ، دار السيادة، دار النصيحة، دار العزة، دار السعادة و

وفي النظام الإداري:

الخمر الأول، الخمر الثاني، الخمر الثالث، الخمر الرابع، الخمر الخامس، الخادم الرسمي، الخادم القسري، المواب، الإدارة، دائرة المراسيم، دائرة الاعلام، دائرة البساتين، دائرة الاملاك، دائرة الاراضي والموقوفات والاجارات والنذور و...

وأما قائمة أسماء أولئك الذين خلّدوا اسمائهم في الكتب أو في النقوش المعجزة بواسطة ايجاد بناء أو تجديد بناء أو تدهيب إيوان أو منارة تكريماً لهذا المزار المقدس: السلطان محمود الغزنوي^(١)، السلطان سنجر السلجوقي، شاه رخ الملك المغولي، جوهر شاد الملكة المغولية، باينقر الامير المغولي، السلطان ابو سعيد، السلطان ياير شاه، الشاه عباس الصفوي، تادر شاه و...

وهناك قائمة طويلة بأسماء الأعيان والاشراف والأمراء الإيرانيين والأتراك والتمتر والمغول مذكورة في الكتب وفي عقود الوقف.

وكل هذا يدل على أن «صانعي حوادث التاريخ» قد لجأوا إلى

(١) ظهر الغزنويون في أواخر الدولة العباسية وتمركزوا في خراسان وانضموا من مدينة غزنين عاصمة لهم، ومن أشهر سلاطينهم السلطان محمود الغزنوي

هذا المكان المقدس في مساويء حوادث الدهر. فقد كان ملوك الزمان وجبايرة الارض يتسارعون لتبيل هذا التراب والصنوخ امام هذه العظمة وكان هذا الصريح مجاداً لرجال ثاقوث السلطة في الشايخ الامراء والملوكه الاقطاعيون ورجال الدين الذين طالما استبدوا الناس سياسياً واقتصادياً وعقائدياً، يتوجهون وكأنيهم رهايا الى مزار السلطان علي بن موسى الرضا معيّرين بذلك عن انتساب سلطانهم وقدرتهم ونفوذهم السياسي والسادي والمحموي الى هذا السرار المساوي المقدس الذي محهم هذه المكانة واعطاهم هذا المنصب في الارض، فإن شمس حياة الناس (هؤلاء) ليسوا إلا اثماراً صغيرة تدور حول «شمس الشمس»، سلطان أرض طوس

ولذا نرى السلطان عباس الكبير يقطع بعليه ويصلتهما على رقبة ويهشي على قدميه الخافيين من أصفهان - عاصمة الدنيا - الى مشهد «الرضا» ايماناً و ارادة واخلاصاً رغم جلاله وجبروته وقدرته وسلطانه ودعم وجود حائل تختص بالموسيقى والشراب في عصره «عالي قابو» ورغم أنه كان يقتل المذكور في هائلته لتي تشه خطر ظهور من يناقسه على السلطان.

وفي حرم الامام نرى هذا السلطان يتفحص رؤوس الشموع كالخدم فينشد العلامة الشيخ الهائي الذي كان أكثر رجال الدين قدسية في زمانه هذا البيت البديع في حضوره:

فدعني تديه لتحياتك من أي حاتم فترسم بيزي شهر جويلى امير
ومساء

«ايها الخادم خذ حذرك في استخدام المقص، فأني اخشى ان تقص به جناح جبرئيل الامين»

وبرى الملك الشهيد ناصر الدين بنشد هذا البيت وهو يتجمل ثرى قدم الامام

«در كلفشك حريم دور موسى موسائى كلیم ما عسا مریبید»
«في منزع أحذية حرم ابن موسى ارى موسى الكلیم مكتكاً على المعص»

لقد كان هذا المزار مدجاً للشاردين وملأه للهارين وماوى آمنأ بمن كان يقر نفسه من سيرف الطماعة والجلادين

وهكذا أصبحت «مشهد» مدينة كبيرة فيعد هجوم جنكيزخان ويعد أن أراق ابنه «تولي» دماء اهالي مدينة طوس، لجا من استطاع الهروب بنفسه الى صريح الامام وسرعان ما تحول هذا المزار الصغير الواقع في ضاحية مدينة طوس الى مدينة كبيرة وامست طوس مدينة حرة مهجورة تقع في ضاحية هذه المدينة

بعدها حاول خلفاء جنكيز ارجاع الناس الى مدينتهم ولكن لم يرجع احد، فقد آثروا ان يبقوا إلى جوار امامهم غرباء كإمامهم الغريب

ويتركوا ديارهم الى الأبد.

وهكذا أسست هذه المدينة

وما زالت هذه المدينة على هذه «الستة» التي كانت عليها من قبل.

إن هنا لك شيئاً خفياً في هذه المدينة يغايب القلوب ويحكي ص عظمة هذه «الروح» فهي تضم الى صدرها الفزلان الجريئة الهاربة من مطاردة الصيادين في صحراء اللهب والهول هذه. الصحراء التي لا يعيش فيها سوى الذئاب والصلاب والقثبان ولا تسكن فيها إلا النماج لأنها دولة سمحة القناد

أما الفزلان فهي طليقة تجوب كل مكان ولا ملجأ لها في هذه الصحراء القاحلة لأنها لا تمتلك أبواب الذئاب ولا رقاباً تطيق القيود.

فهي هاربة دائماً من مزع هذه الصحراء الجرداء.

الصحراء هي التاريخ بعينه قد تجسد في قالب جغرافي، فهي عظمة مرمورة صامنة قانطة مسلمة قاحلة، لا ماء فيها ولا روح ولا جبل شامق مغرور ولا بحر حاري مسرور ولا أغنية بيع عاشق ولا بستان ولا سحابة ولا زهرة ولا منظر ولا مرتع ولا طريق ولا سفر ولا منزل ولا مقصد ولا حركة نهر ولا قاع بحر ولا صرخة رعد ولا لمعة برق.

إنها مكان هاديء محروق حزين قانط. فهي مسكن للحيال والجن والأرواح الخفيفة والذئاب وملجأ للرسواس الضباب والفسق

الواقب والثقات الساحر والهاصد الحائن! - أنشأ موطن الخيال والاسطورة. فهي سراب، لا ماء فيها ولا شجر، يسودها السكون، لا بسب الهدوء والسكينة بل من شدة الخوف.

لهيب هوائها القاسي يقلي المع في الدماغ وحرارة رمالها تفرع النباتات عن الإنبات. والناس فيها وجوه مشوية ونواصي مجسدة وحظام متهرة يكسوها الجلد.

التمكن في الصحراء امر صعب ولهذا يضع الناس الايدي على العيون لكي لا ترى الصحراء أنهم يرون ولا تعرف انهم يعرفون.

وبين الحين والآخر تهب في الصحراء عاصفة تقتلب كل شيء وتحجب السماء عن الارض الا انها تهدأ بعد قليل ليبدو وجه الصحراء من جديد وكأنه لم يطرأ عليه اى تغيير. فالصحراء تصنف وتهدأ ولكن دونما اى تغيير فهي كالبهر، غير انها ليست بحراً من السماء والسطر والزلزل والسلك والمزجان بل من التراب والرمال والقيار والاهاعي والورع والمرايع...

أعذب الكائنات التي تعيش فيها هي من الواحش، غير أنك تجد بين الحين والآخر طيوراً حاقلة لا موطن لها ولا ملاذ تذكرك بقصه بقاء طاعور ولكن ليس في الهند بل في أرمينيا

أما نبات الصحراء فهو «الحنصار والصنارة» هذه الاشجار التي تتشعب بالشجاعة والصبر تتحدى الصحراء فتخرج شطأها من صدر

وما لها الملتبة مستسبة عن الماء والمدح والثناء ثم تستوي على سوقها
وتظهر منظر الأكلية في هذه الصحراء: شجاعة وغرور ووحدة وغربة،
كأنها سفيرة العالم الآخر في قلب الصحراء

هذه الأشجار الشجاعة التي تبت في قلب جهنم ليس لها ورق
ولا تمر لأن شوق الأزهار والأثمار قد وثد في سيقانها وأغصانها. وأما
مسير هذه الأشجار فأنها تجتث من جذورها بحريسة التجاسر على
الصحراء فتوصع في التنور وتحرق ليحيز بها الرغيف، هذا هو مسيرها
المحتوم.

واليوم..

جاء خزال حائف إلى مرار حاملي الفزalan

يلجأ إلى حمى أمته وأبائه

لأنه سمع أن عيناً تبست من القليب في هذا المكان

وأن يستأنأ غطى التراب بغطائه الزمردى

إلا أن تلك الشيء لم يتبع منها إلا «المكر»

والبستان لم يزهر فيه إلا الورد الأسود والعتب المسموم والزمان
تقاتل.

فأصبحت قصة هذا الفزال^(١) تذكر بمسير قومه

الذين خلصوا رقابهم قبل مئات السنين

(١) المقصود بالفزال هنا هو الشاعر الفزدوسي صاحب الشاهنامه

من «قيود عدل أنوشيروان»^(١)،

ولجأوا إلى المدينة بحثاً عن «عدل بلا قيود»

رَبِّ أَنْ المطاف آل بهم إلى مصاد

لجذروا أنفسهم قيوداً «وعدل القيود»

رحلوا ليبحثوا عن النبي

غير أنهم وجدوا خليفته العاصب

واليوم

لجأ إلى الإمام رجل وحيد

من أحماد هؤلاء القوم الغائبين

إلا أنه وجد في حرمه الطاهر نائبه العاصب

ماذا أقول؟

وجد جلاًداً يرقد في حرمه

يا لها من دائرة مخيمة!

أن أقرب الناس إليه

هو أشد الناس عداءً له

وأن الأقرب مداراً إلى محور الصدق وشمس القليب

هو الأكثر كذباً وأشد مكرًا

(١) وهو لسلك الفارسي المادل (المترجم)

وهذا المهاجر الوحيد، النزال الطليق
هو من أحفاد أولئك المهاجرين الفانيين، تلك النزال الحريصة
الخاتمة .

التي رجعت إلى مهبط الوحي
ملبية نداء النبوة .

هراً من الثالوث المشقوم: «كسرى، دهقان، موبد»^(١)
بعثاً عن الثالوث الالهي المقدس: «الحرية، المساواة، الوحي»
إلا أنهم أصبحوا ضحية ثالوث آخر أكثر شؤماً، ثالوث «الخليفة
- الشيخ - الفقيه»، لقد ترك هذا المهاجر الوحيد، قطع نماج الصحراء
الجماعة هراً من ثالوث «الذهب - النملب - القار»
ملبية نداء الرعي .

بحسب يكاد أن يكون نيلجي اللون من شدة ضرب السياط .

وشقاء تلهب من شدة العطش

وأقدام مجذرة من طول الطريق

وقلب مغمم بالشوق والعشق

لجأ إلى حرم الامام :

ولكن...

وأصعبناه !

(١) دهقان، الملاك، الاطعامي الكبير، موبد؛ رجل الدين المجوسي

أنه حرم «هارون» !

والامام يرقد إلى جانبه !

إلى جانب هارون !

أيعني هذا أن الامامة هي في هامش الخلافة ؟

أيعني هذا أن الايمان هو في خدمة الجور ؟

أيعني هذا أن لباس التقوى هو خطأ ينطلي هياكل الزور ؟

أيعني هذا تستر ثالوث «الشيف - الذهب - السبعة» يستار

الدين ؟

أيعني هذا أننا نطوف حول هارون باسم الامام ؟

أيعني .

هناك الخلافة والرسول وهنا النيابة والامام ؟

أيعني اختفاء وجس هارون في ضريح العصمة الظاهر ؟

أيعني تطهير السلطة من جديد ؟

وتقدس الذهب

وتبرير الزور والتزوير ؟

أيعني دعوة الخلق إلى وراثة الخليفة باسم الدين ؟

لست أدري...

غير أنني أعلم أن هذه الشجيرة الصغيرة

سليقة شجيرات الخشخاش والسحر تلك

ما أن أوردت وأزهرت حتى حلّ الشتاء
 حاجتها من الجدور
 تتجاف القشيب وصنّاع الفحم وموقدو القيران وخيّايزو الرقيب لقد
 أمسكوا بتلك العزلة الهاربة
 في حمى حاميها
 وسأموها إلى الصياد
 ففي هذا العصر هجعت الحلقة مرة أخرى
 وأغار سعد بن أبي وقاص آخر في قادية أخرى
 ورجف وحوش العرب من جهة العرب هذه المرة
 فنهبوا «مدائن»^(١)نا
 ودفعوا لفسا وإيماننا ونفاحتنا وتاريخنا
 وجاؤوا بالبيروية والجهل بستان المدينة والعلم
 وهدموا الأسوار وألبروج واستقلوا الجدر والسقوف
 وأطعموا بيران المعابد
 و

فمنسوك وزليزان وان تالزيان
 نه ترك دله ليران، نه تارزي بود
 بوجان كسان ان هي دود خويش
 بسويينه وديس آرمه به بهش^(٢)

(١) من الإيرانيين والترك والعرب ظهر عرق وجيل جديد

وفي حصون ذلك:
 نهض ابن الفلاح القروي الخراساني
 برأسمال حمراء
 وقدرة عشقه
 بدون مسند وملاد
 أهتل الحياة ليجمع ويدون ويذكر الناس بكل مخر وعشق
 واسان وغنّ وحضارة وبطولة قد اجتتها خلفاء العرب وسلاطين
 الترك وباعة الوطن من آل برمك وبويعت وطاهر وسامان وصقار و
 والعلماء من قبيل المتقّع وأعشىين و -
 فكندج خمساً وثلاثين سنة بدون توقع اجرة لبشند «مذكّرة»
 الايمان المسيحي لهذا القوم. غير أن أولئك الذين لم يطبقوا استماع اسم
 الطمءاء ولم يرغبوا في احياء الموتى وابصار الصمي تأمروا عليه
 فشرّده من دياره وكفّروه وحزّصوا الرخاع على ايمانه بدعوى أنه
 رجل رافضي معتزلي. فاستدلوا بهذا البيت على اعتزاله:
 «بـ سينتغال آفرينته را ميبوي منجان دو سينته راه»
 واستدلوا بهذه الأبيات على أنه رافضي العقيدة

ليس إرانياً ولا تركياً ولا عربياً، يعني كلامه عمله
 «خرو الناس طلباً لسنقههم وجعلوا الدين ستاراً»
 هذه الأبيات هي للفردوسي شاعر الحماسة الإيراني
 (١) لن ترى الخالق بالعين فلا تزدي حيوتك ا

«عزيمتو كيتي چو دريا نهاد
چو هفتاد كشتي در او ساخت
ميانه، يكي خوب كشتي عروس
پيغمبر بدو اسروى پا جلي
لگر خلد حواهد به ديگر سواى
گرت زهن بد آينه گناه من است
بدليس زلم و هم بر لى بگنرم
و مساه

«عندما خلق خالق الكون البحر، وتلاطمت فيه الامواج عند
هبوب الريح

صنع فيه سبعين سفينة، ورفع عليها الاشرعة
وكانت بين هذه السفن سفينة جميلة، كالعروس ومزينة كعص
الديك

اجلس الله فيها النبي وعلي، وجميع اهل بيت النبي والنصي
فان اردت الخلد في الدار الآخرة خذ مكاناً بقرب النبي
والنصي

هنا اصايك سوء من هذا فانما المسؤول، كن مؤمناً بهذا فاني
مؤمن به
اني ولدت علي هذا وسوف اموت عليه، كن واثقاً من اني تراب

قدم حيدر»

حزن كثيراً وعندما عرف نية السلطان محمود، خرج من مدينة
عزتين لي سواد الليل و.. ظلّ هارباً... لمدة ستة اشهر... قيل له: انت
رجل شيعي وكلّ من ينتمى لك بال النبي سيكون مصيره.

حملوا اجرة عمله الذي استغرق خمس وثلاثين سنة على بعير
وارسلوه الى طوس - وبينما كان البعير يدخل من بوابة (رودبار) في
مدينة طوس كان الناس يخرجون جنارته من بوابة «ررا»

وكان هناك واعظ في محلة طبران طوس وهو هقيه المدينة
الكبير اسمه الشيخ ابو القاسم الكركاني اصّر يتحسّب وقال: سوف ل
اسمح يدق هذه الجمازة في مقبرة المسلمين لانه رجل واقصي توصل
الناس اليه ولكن دور جدوى فاضطروا ان يدفعوه في سستان قريب من
هذه البوابة كان من املاكه ..»

يقال انه خلف بنتاً هي عاية الكرم، ارادوا ان يسلّموا اليها صلة
السلطان وبكتها آتت عن ذلك وقالت: «انا لست بحاجة اليها» فكسب
صاحب البريد الى السلطان فأمر بإخراج ذلك الفتية من مدينة طوس»
فاعتبروا يا اولي الابصار

اولا البابا وماركس...

كان لكل من البابا وماركس دور رئيسي في تدوين فلسفة التاريخ على النحو الذي نراه اليوم او في بلورة نهضة جديدة تطالب بالعدالة الاجتماعية وترفض النظام الطائفي الاستغلالي كما كان لهما الامر الكبير في بلورة نزعة اجتماعية وخلق رأي عام يدعو الى تبديد النظام الاشتراكي ونيل النظام الرأسمالي في عصرنا الراهن. ففي اوربا كان البابا الذي يند رمزاً للسلطة الدينية ووارثاً لتاريخ الاديان يعمل على تحويل الدين الى نظام فكري رجعي تابع للطبقات الحاكمة، وكان الدور الطبيعي الذي يلعبه الدين هو تبرير الوضع الموجود وامتصاص نقمة الشعوب المحرومة وتسكين غضبها بالوعود والوعيد وهكذا كان الوضع بالنسبة للطبقات الاجتماعية الأخرى كالفسلفة والمنطق والفن والأدب والعلوم

وبعد عصر النهضة حث محرر العقل والعلم من قيود الكنائس وتخلصت شعوب اوربا من سطوة حكم البابا ونالت استقلالها الحقيقي، أخذت هذه الشعوب تتطور بسرعة مذهلة، وسرعان ما حلت الأمم القوية محل المقاطعات الضعيفة واحتلت الاكتشافات والاخرعات مكان تقليد القدماء والمعيش على فضلات موانئهم، بيد ان المنطق

العلمي والروح التحررية الجديدة والرؤية الملمية الحديثة اتخذت ويشكل عنوي موقفاً ملبياً تجاه القوى الدينية الرسمية التي تصدّت بدورها لهذا التيار الجارف. وقد ساهمت البرجوازية التي تتنافى مع روح الخير والجمال المعوي والقيم الاخلاقية المتعالية في تقوية هذا التيار المناهض للدين، خصوصاً أن معظم ممثلي هذه النهضة الفكرية كانوا من افراد الطبقات الاجتماعية المتوسطة اي الطبقة البرجوازية الحديثة التي كانت تناوئها الدين تارة من ناحية الروح الطبقية وأخرى من ناحية كونها تحاول اكتساح النظام الاقطاعي والقضاء عليه، ذلك أن الدين الرسمي كان يشكل البنية القوقية الفكرية والثقافة لهذا النظام البائد.

وفي ظل هذه التحولات ظهرت الماسكة لتتحوّل الرأسمالية التجارية الى رأسمالية صناعية وتؤدي إلى التمرکز في الرأسمال من جهة والتمرکز في اليد العاملة من جهة أخرى، الأمر الذي أدّى بدوره الى اتساع الهوة الطبقية أكثر من ذي قبل لأنّ قدرات انتاج الماسكة التي كانت في خدمة اصحاب رؤوس الاموال أدّت الى ازدياد حجم رؤوس الاموال في ايديهم واستثمار اليد العاملة بشكل يشع للمائة الأمر الذي أدّى بدوره الى اتساع الهوة الطبقية وتنامي معدل الاستثمار الطبقي عدة أضعاف وكان هذا هو السبب في بروز الصراع الطبقي الحديث وتمتد الرأي المزد ضد الاستثمار والماسكة والرأسمال من أجل انتقاد الطبقة

العاملة التي كانت تقف يوماً بعد يوم استقلالها وحريتها بل وطابعها الانساني وتظهر بمظهر الآلة المرتبطة بالماسكة العملاقة.

لم تكن هذه الطبقة تملك أي شيء حتى أنّها لم تكن تتمتع بالحياة التي كان يتمتع بها الفلاح القديم بل كانت تحصل لقاء عملها على اجرة لا تتجاوز القوة التي أخذتها منها الماسكة لكي تستطيع ان تستمر في عملها يوماً آخر كالفقر الذي يبيع دمه ازاء بطاقة تموينية تمدّ جوعه ونصح له من الدّم ما يقدر أن يبيعه في اليوم التالي ليبقى يعيش هذه الدوامه الرتيبة التي تسمى «الحياة».

وفي هذه الأثناء ظهر ماركس الفيلسوف الهيجلي الملحد الذي عاش بعد مرحلة النهضة في اوروبا

ماركس كان ينتمي الى طبقة برجوازية متوسطة وكان في الوقت ذاته ضحية التمييز المصري والتهمس الذي يسبب انتمائه الى اسرة يهودية وقد تزامن ظهور ماركس مع انحرافات المالية واسعة النطاق التي اجتاحت دول اوروبا وخصوصاً ألمانيا وفرنسا وانجلترا سمحة بذلك الظروف اللازمة لظهور المذاهب الاشتراكية والشيوعية والحركات الثورية، وبالذات في فرنسا عملت هذه المذاهب على تحذير الانسان من مغبة الانصيهار في النظام البرجوازي السائد ووقايته من المسخ والانتقاد لسلطة الماسكة ومهاضة ظاهرة التفرقة «بالعمل» الذي يمدّ الجوهر الحقيقي للانسان ومقاومة التوجه الاستغلالي الذي

كانت الماكنة تريد في وحشيته يوماً بعد يوم والتفضاء على الرأسمالية الفردية الداعية بشكل جنوني إلى العرص والطش والجشع...

وأيضاً التضاء على القضاء الطبقي الذي صنف المجتمع الانساني الى فئات متعاضدة والعمل على انتقاد الطبقات الاجتماعية المحرومة خصوصاً عتال المصانع من أطفال الماكنة وهيمنة رؤوس الاموال وابداد مجتمع حالي من التفضاد الطبقي والاستغلال والجشع واعطاء الأصالة «للعمل» لا «لرؤوس الأموال».

لقد دون ماركس في ظل هذه الظروف التاريخية والاجتماعية الحساسة، الاسس الأيديولوجية لنهضة انسانية قورية مناوئة للنظام الطبقي الاستعماري ملئاً أن انتصار هذه النهضة هو أمر حتمي وجبري زهماً منه بأن ذلك هو نتيجة حتمية للقوانين الاجتماعية والمعامل المادية الخارجة عن ارادة الناس ومشيتهم ومن ثم عمداً الى قراءة التاريخ لكي يوحى بأن هذه القوانين هي قوانين علمية بعنة وأن هذه الحركة هي المرحلة النهائية لسلسلة التحولات العنصرية التاريخية، مستنداً الى قانون الجبر المادي للتاريخ، وقام بتدوين فلسفة التاريخ مرتكزاً على هذا الاساس

وامعاناً في اعطاء الأصالة والأهمية للنزاع الطبقي الذي كان طاعه يتسبب ظهور الماكنة والرأسمالية الصناعية، ارجع ماركس أسباب جميع الحروب البشرية التي حدثت عبر التاريخ الى العوامل

الاقتصادية ونظر الى الحضارات والحركات الاجتماعية والصدارس الفكرية الانسانية وقصة الانسان من الزاوية التي كان ينظر منها هو هي عصر الماكنة والرأسمالية واصالة الانتاج والاقتصاد (أي القرن التاسع عشر في أوروبا الغربية) انا بالنسبة الى الذين فقد كان ماركس يرى في وجه المسيح نفس الملامح التي كان يراها في وجه البابا وهنا يكمن خطأه فالبابا كان أعنيه يتعصر الروم منه لي عيسى المسيح، السيد الفلمسطيني الحافي الذي كان تاج رأسه أكليلاً من الشوك وهو القائل «لن يدخل مخزان الأموال الجنة حتى يلجج جبل المرساة في سم الغياط»

ليس المقصود من البابا هو البابا في القرن التاسع عشر ولا حتى جهاز الكنيسة الكاثوليكية بل المقصود الطبقة الرسمية لرجال الدين الذين كانوا يتحكمون بفتائد الناس على طول التاريخ وفي مختلف المجتمعات ويستخدموها في تحكيم اسس نظامهم الطالم الذي يجعل من الاكثريّة صعية لهب «الاقليّة الماكنة» وهذا هو السبب الذي دفع بماركس الى اعتناق المادية كأساس فكري للنظام الاشتراكي متوسلاً بذلك لنهي الدين الذي يشكل الاساس الفكري لهيمنة (البلاء) وحكومة الاسياد والنحجر، وليجتث بذلك جذور العبادة التي ترتكز عليها جميع الأديان

إذا أود الانسان ان يفكر بحرية ويشاهد الاشياء بموصوح

وبصيرة، فعليه أن يمارس بنفسه الكشف والتحليل والتحقيق ويجتهد حتى يتوصل إلى حقائق الأمور ويحذر التقليد ويجتنب اجترار فتايات الآخرين، وعليه أن لا يتأثر بعنصرية الأبطال والطغماء والقادة لأن الحق هو المقياس في تقييم الرجال وليس العكس، يقول أسير المؤمنين (ج): «اعرف الحق تعرف أمته».

اذن علينا نحن المتقنين المتسبين إلى مجتمع آخر وتاريخ آخر ووضع آخر ودين آخر وزمن آخر أن نحذر السقوط إلى مستوى المؤمن العامي المقلد الذي يحمل رسالة مرجعه الديني العملية ويستغنيه في كل الأمور. بيد أن هذا السقوط يبدو اليوم في عيون الكثير من اتباع «الموضة الفكرية» نوعاً من التجدد والتقدم

أن قيمة أفكار ماركس - أن كانت هنالك قيمة في أفكاره - تكمن في سعيه إلى معرفة الحركة التي كان ينتسب إليها والهدف المقدس الذي كان يؤمن به وتحليلهما تحديلاً علمياً وإعطائهما وجهة فكرية خاصة فقد عهد ماركس إلى كتابة «تاريخ مصالح هذه الحركة وفهم بنجيتها» بالقداسة والمنطق وعلم الاقتصاد وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ومع الطبقة العاملة التي كان يشعر بالمسؤولية تجاهها وعياً طبياً وسلاحاً أيديولوجياً يمكنها من البقاء والاستمرار في طريقها

اذن، فالتقليد العلمي والفكري لا يقتضي مسا أن نكرر أعمال ماركس بطريقة عمياء ونأخذ بما أملاه علينا بعبون محضبة، لأن هذا

التوهم من التقليد يشبه كثيراً تقليد المريض الامي للطبيب المتخصص ويختلف تماماً عن تقليد الإنسان السليم الذي يسمي أن يكون طبيباً كالطبيب الذي يعالجه وشقان ما بين هذين التوهمين من التقليد. لقد كان ماركس يرى الدين في وجه البابا ومحتباً ويعتقد أن دور الدين في المجتمع ليس بأكثر من الدور الذي لعبته الكنائس في القرون الوسطى والمسر في ذلك أنه لم يكن يرى سوى الأديان الحاكمة على التاريخ فقد كان يرى دين موسى في حكم «الاحكامات والاحبار» ورسالة عيسى في نظام الكنائس وإسلام محمد في سياسة الخلفاء والتشيع العلوي من حلال الحكم المصوي.

فإن أردنا أن نقول ماركس في رقبته هذه لن نكون اشتراكيين ولا مفكرين أصحاب حق بل سكون مقلدين أدلاء اغلقوا عيونهم وآذانهم وعلسوا أنفسهم وفقدوا الفقه وشلب منهم حق الرأي والاستقلال والتقديره على التمييز بين الخطأ والصواب، بل سكون قد انكسروا المسلمات ومسحوا الحقائق ورفضوا الإيمان بكل شيء حتى بأصيننا وأدانتنا وإدراكنا وفهما

أن معرفتنا بالتاريخ والدين هي أوسع وأعمق بكثير مما كان يعرفه المفكر المادي في القرن التاسع عشر فقد كان المفكر المادي آنذاك يرى الدين من منطلق كونه وليداً للجهل والحواف والنظام القبلي أو النظام المادي والفكري الحاكم على المجتمع بينما استطاع نحن اليوم

أن تفصل بين نظرتنا إلى الدين كقابلية إنسانية وبعد إنساني خاص وبين نظرتنا إليه بصورته الهيئية المستحقة في ظل النظام الاقتصادي - الاجتماعي ومرحلته التاريخية المعاصرة.

إن الدين هو شعور يبتثق من وعي الإنسان ومعرفته بنفسه ويدعو الإنسان إلى الكمال عن طريق تقديس القيم السامية من قبيل الجمال والخير والبصيرة والطف والابداع والارادة والعزيمة والمعرفة والكمال والهداية والعزة والعدالة والحق ومناهضة الظلم والجهل والظنن والذل... وتجتمع كل هذه القيم في إطار التوحيد الذي يعد أكثر الأنظر الدينية شمولاً، في معبود واحد وهو الله تعالى عز وجل.

أما إذا استغل الدين من قبل السلطات الحاكمة لحفظ مصالحها مستعملين أسوأ فاجحة يسحق فيها الإنسان في الانظمة السعادية للإنسانية ويصبح الدين شهيداً في سجلات التاريخ.

إن رسالة المفكر الحر تتجلى في العمل على انقاذ هذه الصعيرة واحياء شهيد التاريخ هذا لا تقيه وتكديه وتلويثه، فإن لم يتم المفكر الحر بذلك فإنه يكون شريكاً لأعداء البشرية من الجلادين والسحرة والكهنة والفراعنة الذين اغتالوا الدين وأردوه قتيلاً خدمة لمصالحهم الطبيعية الضيقة.

بعم، لقد لعبت الاديان الرسمية دائماً دوراً طبعياً قديراً ضد الناس والانسانية ومصالح الطبقات الحاكمة، ولكن ألم يكن للفلسفة والسلم

والنق والادب والصناعة نفس هذا الدور عبر التاريخ؟

أذن ماذا عني، لمفكر لمسؤول أن يقتل؟ هل عليه أن يحور هذه القسم من الاستنثار الطبقية أم عليه أن ينقيها من الأساس ويبع يوجهها بشكل مطلق؟

لقد كان اسلم والفن والصناعة والممران في خدمة اصحاب القصور ولم تكن للطبقات المحرومة أي نصيب من العلوم والفنون . ولكن ألا يدعو إلى السحرية أن نقرر اليوم انوقوف بوجه العلوم والفنون كونها كانت تخدم الطبقات الحاكمة فقط؟

إن علماء الاجتماع يعتقدون اليوم أكثر من المسلمين أنفسهم بأن الإسلام هو دين اجتماعي واقعي يؤس بالطينية والاقتصاد والاجتماع بل هو دين سياسي بحت، فقد عد القرآن الكريم «القائمين بالقسط» في عدد «الانبياء» و«حرب الله الفالين» ووعد المستصفين الذين سعتهم الانظمة اللا انسانية بإمامه الناس ووراثته الأرض مشيراً إلى أن هذا الأمر مستحق لا معاملة وانه امر جبري ومحتوم، وقد كان النبي (ص) يؤكد على الحياة المادية بصفتها مقدمة جبرية للحياة النعوية وعلى رسمياً أن.

«من لا معاش له لا معاد له» وقد وقف (ص) حياته في سبيل تنظيم نظام الترف الفكري والاجتماعي والاخلاقي والاقتصادي فكيف يمكن مقارنة هذا الدين مع الدين الصوفي الذي يعتقد بأن نور

الإنسان وفلاحه لا يتحقق إلا بالزهد والمباداة والرياضة والانزواء واعتزال المجتمع والمصير الاجتماعي بل حتى تسيان المجتمع والعالم؟! وكيف يمكن الحكم على هذين الشئيين المتناقضين والقطبيين المتضادين بحكم واحد؟!

فهل يمكن أن يكون هنالك مفكر عاش المجتمع الإسلامي وحصل على حد أدنى من المعرفة عن الإسلام ولم يستطع التعبير عن الإسلام (الدين الحاكم هي التاريخ) والإسلام (الدين المسحوكة والفضحية والشهيد) وهل يصح له أن يصدق بأن الخلافة الاسمية والعباسية والحكومات الفارسة لها هي انحدار حقيقي لرسالة نبي الإسلام (ص)؟!

إن هذا الاعتقاد هو بدرجة من السذاجة بحيث أننا لا نجد، إلا بين العوام الذين كانوا ضحية لأجهزة اعلام الجباية ومن المستحيل أن نراه بين المفكرين الواعين الذين يعمون تاريخهم حق المعرفة

إن الفكر والايديولوجيا يختلف تماماً عن الطب والتكنولوجيا ولا يمكن اقتباسه من نتائج الآخرين ومن محطوطات علماء أوروبا، الفكر هو الوعي وامتلاك عيين بصيرتين قادرتين على رؤية الحقائق والخطوة الاولى لكي يصيح الإنسان مفكراً هو التعرف الدقيق والحقيقي على التاريخ و ثقافة الذات.

فهل يصح لأي مفكر معتدل أن لا يرى الإسلام في حياة محمد

ورسلته ومسؤوليته ويتعد أعمال وممارسات أجهزة الخلافة صمياً في حكمه على الإسلام؟ وهل يصح له أن لا يرى علياً (ع) الذي لم يمشي أي إنسان ثوري في العالم مثل حياته ولم يقاتل أي إنسان مثل قتاله ولم يحكم أي إنسان مثل حكمه، ويتعد وعاطف السلاطين مماير في تقسمه وحكمه؟ وهل يسوغ له أن لا يعرف اباً الذي راح ضحية للصراع مع الرأسمالية والطبقة الحاكمة المستجدة ويتعد عثمان الذي قضى عليه، منطلقاً لهم الإسلام ومعرفة؟ وهل يصح له أن لا يعد بلال الحبشي الذي كان يرى في الإسلام حرية من الرقبة كمصدق اجتماعي بارز لدين التوحيد، ويعد عبد الرحمن بن هوف الذي كان يمتلك ألف غلام وجارية مصداقاً عيباً لهذا الدين الحديث؟ وهل يصح، له أن يتخذ سلسلة الخلفاء والسلاطين الذين وروا النجاشية وقلدوا الأكاسرة والقيصرة ويصنع النظر عن سلسلة لشهداء من أبناء النهضة الإسلامية الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نعيمهم في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض؟ وهل هنالك مفكر لا يعلم اليوم أن جميع الأديان الكبيرة كانت في بادئ الامر تمرراً وعصياناً على القوى الحاكمة وثورة لاتقاد الناس من السلطة والعبودية؟ غير أن النظام الطائفي الحاكم يمسح لفضالعه دائماً ثمار الحركات الاجتماعية ويستعدها من أجل تحكمهم وجوده وتثبيت سلطانه ... ألم تصبح «الاعتراكة الديمقراطية» في أوروبا أكبر مدافع ومحافظ على النظام الرأسمالي وأقوى مانع لحصول الثورة

المالية المارمة رغم أن الاشتراكية والديمقراطية كانتا تمررتي أركسي الدماء واعز الشهداء وأرقى الرسائل الفكرية التحررية البشرية؟

فلو لم يكن البابا وماركس لأفمرت النهضة المارمة المعارضة للنظام الطيفي الرأسمالي الاستغلالي التي تطالب بإفقاذ الإنسان وتحريره من قيود المادية المبياء والبرجوازية البشعة وتمكنته من تكوين فطرته الانسانية المحقة وعرض قيمه الوجودية وإبراز صورة الاستعدادية بواسطة تحريره من قيود الجشع والفساد وتدوين فلسفة تاريخه لا على أساس فني الدين بل على أساس ربط هذه النهضة الانسانية المارمة بنهضة الأتقياء الذين بعثوا من بين صمغوف الناس وحطمو بقاوس التوحيد آلهة الشرك والأصنام التي كانت رموزاً للفرقة العرقية والقومية والطبقية والتبعية، ودعوا الناس إلى الفلاح والحرية والعدل والمساواة والقوى ورفض الظلم والجور والجهل والخرافة والسحر والتلق بالدنيا. وهي هذه المسألة ستتصير الحقيقة وستركز الاشتراكية على الإرادة والهدف المقدس الذي يسبق عن عمق الفطرة الانسانية التي سعى الإنسان إلى تحقيقها طوال التاريخ بدلاً من ارتكازها على ألوية الغراميل المادية الديقليكتيكية المصماء التي تعمل بشكل جبري ولا تتدخل فيها إرادة الإنسان قط، وستكون الطاقة الدينية الهائلة في أنحاء العالم وخصوصاً في العالم الثالث سنداً معنوياً وروحياً وفكرياً لهذه النهضة بدلاً من أن تكون سداً ومانعاً كبيراً تستغفه

أيادي الاستثمار والرأسمالية

صلينا نحن المفكرين في هذا العصر وخصوصاً المفكرين في العالم الثالث وبالذات عالماً الاسلامي ان نخلص أنفسنا من نتائج النزاع الفكري بين البابا وماركس ونربط الروح الثورية والهدف المقدس والنزعة الشمسية المطالبة بالمساواة والمتاهضة للاستثمار والرأسمالية برسالة التوحيد التي طالما ناهضت الشرك بمختلف أشكاله الفكرية منها أو العرقية والقومية والطبقية، لتصل إلى الماية الكريمة المثلى وهي المساواة بين الناس في توزيع الثروة، ولكي ندون «فلسفة القدر التاريخي» بالشكل المطلوب ولكي نثبت للجميع أن النظام الرأسمالي جزء الإنسان ويسمعه ويمثل به وأن الدين أنذي يدعو الإنسان إلى التكامل والتحلي بافهم الاخلاقية المتأالية لا يمكن له ان يبقى في هكذا نظام بل سيدمر مع انصام الماهية الانسانية، فان لم يصنع فما هو يدعى بل خرافة وأن الاشتراكية الحقيقية القادرة على صنع مجتمع حاد من الطبقات لا يمكن لها ان تتحقق إلا عن طريق الدين، لأن الناس ما لم يترثوا تربية اخلاقية ومصوبة صحيحة تمكنهم من ايثار حقوقهم من اجل الوصول إلى العدالة الاجتماعية سوف لا يكون يوسهم صنع مجتمع تسوده العدالة الاجتماعية، إذ الحقوق ليست متساوية أبداً، وان النظام المادي (Materialism) يؤول إلى النظام الفردي (Individualism) لا محالة والمكس صحيح أيضاً، كما أن الدين

لا يمكن له أن يتحقق قبل أن يتخلص المجتمع من قيود الطمع والاستغلال والاستعمار والقواصل التطبيقية ففي هذا المجتمع وحده يستطيع الانسان ان يتخلص من المسخ والاستحالة الى «نسيء» في نظام الفاكهة والرأسمال والذوبان في نظام المال والاستهلاك والتحويل الى مريسة او حيوان مفترس في نظام الصلاقات الطبقية، وفي هذا المجتمع فقط يستطيع الانسان أن يعرف نفسه ويتكلم على أصالة وجوده ويكون فطرة بوجهه ويستعرض قيمه الانسانية المتمايله فتتكامل داته ويتعلق بأخلاق الله ويصبح حليفه في الأرض وهذه هي دعوة الدين التي لا تتحقق إلا في مجتمع غير طبعي يركز على أساس «الكتاب والميزان والعديد» لا على أساس الجهل والتمييز والضعف وهذا هو معنى تحقيق التوحيد في الحياة البشرية

ندوة للاجابة علي

الاسئلة والاختقادات

من : ان أغلب النصوص التي استندتم اليها في كتاب «معرفه الاسلام»^(١) في خصوص نقل وقائع تاريخ الاسلام هي من مصادر أهل السنة ، مع الأخذ بنظر الاعتبار ان تلك الوقائع لها تأثير اساسي في اصول عقائد الشيعة وان احتمال التحريف والتفسير في المصادر التاريخية لأهل السنة قوي جداً ، لماذا لم تستندوا الى المصادر الشيعة في موارد الاختلاف أو تفسروا اليها في انهامش على الأقل ؟ هل هناك دليل مقنع على اختيار هذه المنهجية ؟

ج : نعم هناك أدلة حديثة

١ - لقد قلت في مقدمة مقالة «من الهجرة الى الوفاة» ، وهي جزء من كتاب (معرفة الاسلام) وفي كتاب «محمد خاتم الانبياء» أيضاً اني استندت في كتابة السيرة النبوية الشريفة غالباً على نصوص الاخوة أهل السنة وأتوقع من الاخوة أهل السنة أيضاً ان يستندوا على نصوص اخوتهم الشيعة في هذه المجالات (وخصوصاً في المجالات التي يوليها الشيعة اهتماماً خاصاً) فإنه بهذه الطريقة فقط يمكن التقريب بين هذين

الأخوين اللذين نبأعدا عبر القرون.

٢- حاولت استخراج «ما يهيم به الشيعة» من مصادر أهل السنة، لأنه لا يمكن العكس في أصالة المقائد المذهبية التي جاءت على لسان المذهب المخالف، وهذا ما دعاني لأرسم وجه الإسلام في كتاب «معرفة الإسلام» بخطوط شيعية أخذتها من علماء السنة، وأنها لمعري علامة بيّنة لأولي الأكياب تدل على حفاية الشيعة وأصالة مذهبهم. وقد عمل بهذه الطريقة الكثير من علماء النسخة العظام من قبيل السلامة الأحميني في كتابه «التدبير» والسيد عرف الدين في كتاب «المراجعات» وغيرهم من العلماء الأفاضل^(١) وهذا هو سبب القيمة العلمية لتأليفاتهم، وهذه هي الطريقة الوحيدة لخدمة التشيع وإثبات أصالة هذا المذهب لأهل السنة ولكل من يرى التشيع مذهباً متأخراً أو يعتقد أنه من صنع العجم والاربابين إلا أن هذا الأمر تحول إلى «اتهام» بالنسبة لي فقط! لأنه انتشر بين الرعاع والمخادعين ومن ورائهم أولئك الذي يرتزقون على الجهل والفرقة واستغلال الناس الذين يسمون الخدمة خيانة والخيانة خدمة، ببساطة

٣- طبقاً للطريقة العلمية المتداولة هي كتابة التاريخ، يجب

(١) حتى أن آية الله محمد الصدر نقل جميع الروايات المتعلقة بالامام المهدي (ع) في كتابه «موسوعة المهدي» عن النصوص والمصادر السنية ولم يستند على كتب الشيعة ونصوصهم قط

الاستناد على أقدم النصوص، أي أقربها إلى زمن الواقعة من الناحية التاريخية. إن هذه الضائقة وإن كانت غير دقيقة مئة بالمئة إلا أنها تصدّ ملاكاً جيداً في تقييم النصوص التاريخية، وبما أن نصوص الشيعة في «التاريخ والسيرة» هي نصوص متأخرة من الناحية التاريخية (بسبب الوضع السياسي المتأزم الذي عاشه الشيعة عبر التاريخ) آثرنا اختيار نصوص أهل السنة كونها أقدم تاريخياً من نصوص الشيعة

٤- إن اتهام جميع المؤرخين والمفكرين المسلمين الذي لا ينتمون إلى المذهب الشيعي أو لا تطبق جميع عقائدهم مع هذا المذهب بتهمة المحافظة لأهل البيت هو أمر بعيد عن الإنصاف والدقة

إلا أن تلقين العدو الأجنبي الذي لا ينتمي إلى أي من المذاهبين لا السني ولا الشيعي جعل أغلب الناس في بلدنا يعملون هذا التصور العاطفي. علينا أن نعلم أن مخالفي الفترة الشريفة هم النواصب (كانوا أقلية صغيرة ولم يبق منهم إلا النذر اليسير) وهناك بعض المفسرين وعدد يسير من أهل السنة ممن تأثروا بتلقين النواصب أو كانوا عملاء للأجانب والأعداء

لقد حاول العدو طوال السنين الماضية أن يلقن الشيعة بأن جميع الأخوة أهل السنة هم من النواصب كما حاول أن يلقن السنة بأن الشيعة هم من المملاة القاتلين بالوهمية علي (ع) الفرقة التي يعتقد الشيعة أنفسهم بطلانها وشركها!

فإن قلنا أن جميع المؤلفين المسلمين وجميع الكتب الإسلامية المتبصرة هي كتب تعاليف أهل البيت (ع) ورفضنا أن صائل علي (ع) وحرمة الائمة الأطهار (عليهم السلام) لم يعترف بها المؤلف الإطليقي الشيعي وكتايبها، وأن جميع المذاهب الإسلامية والعلماء والمؤرخين والمحدثين المسلمين من غير الشيعة هم من المعالفين للإمام علي (ع) وأبنائه اليمامين، فإننا نكون قد أصدرنا حكماً ظالماً لا أساس له من الصحة، وقد يكون ناجماً عن عدم اطلاصنا أو قلّة إنصافنا وشدة عصبيتنا، ومثل هذا الحكم ليس لصالح العقائد الشيعية وعلى خلاف لحقائق الوثائقية المتفق عليها والتي تشكل الميادي، الأساس لهذا المذهب الحق، لأن كل من تمسّس على قراءة الكتب التاريخية وكتب الحديث الإسلامية الشهيرة يعلم أن جميع أصول العقائد الشيعية الهامة قد أوردت بدون استثناء في المصادر الرئيسية لأهل السنة وفي كتب الحديث والسيرة والتاريخ والعنصرية لغير الشيعة وعندما نرى أن جميع عقائد الشيعة موجودة في مصادر وكتب أهل السنة القديمة، أليس من التضمين للشيعة ولإمادتهم أن تنهم جميع تلك الكتب والمصادر الإسلامية ويشكلها في مصداقيتها جميعاً، رجعاً بأن صائل عدي (ع) والفترة الشريفة لم تذكر إلا في كتب الأقلية الشيعية ولم يُذكر اليها في أي من المذاهب والكتب الأخرى سواء العدمية منها أو التاريخية والروائية والكلامية والتفسيرية وإن أُشير اليها فقد رُجّح فيها مثلاً

أبو بكر وعمر وعثمان على علي ورجّحت عائشة على فاطمة ورجّح الخلفاء على الأئمة!

إن هذا الادعاء ليس صحيحاً لأننا لا نجد فضيلة علي وأهل البيت (ع) إلا وقد وردت في هذه الكتب، وقد أشارت أكثر هذه الكتب إلى أفضلية علي وأهل البيت (ع) على مطلق الخلفاء والصحابة فيما وجّه الكثير منها الذع الانتقادات إلى الخلفاء وتقل الكثير منها غيرهم وأشّر على نقاط ضعفهم، وقد شمل هذا النقد كل الخلفاء حتى الشيعين وعصراً عثمان بن عفان

٥- لقد انتقد بعض السادة ومنهم السيد الأنصاري الفتي أو (الآراكي) الذي كان يحاضر في جامع البزازين في أيام محرم في السنة الحاشية، طريقتي في التحقيق والتي، استندت فيها على الكتب التاريخية لأهل السنة وكان هذا النقد النقد المستطفي الوحيد الذي تعرّضت له في النعيق، إذ لم يراع أحد هير هذا الرجل المنطق والأدب في النقد.

لقد عرّض السيد الأنصاري في انتقاداته نقاط ضعف الكتب التي استندت اليها (حتى تلك التي ليس لها أي ارتباط بتحقيقاتي ككتاب صحيح البخاري...) وأنبأ أن هذه الكتب تحفري على احاديث ومصامين تاريخية ضعيفة (وحتى مرتبة) ممباً بذلك الطريقة الرائعة التي اتّخذها العلامة الأميني في «الفدير» ثم قال مستأنلاً: هل من

الصحيح ان نجمل هذه الكتب مصادر لتحقيق؟

ان هذا الرأي هو رأي صحيح بسبب خمسين بالمئة، والصحيح فيه هو وجود المضامين الخاطئة والأحداث الضعيفة او المرفقة في تلك المصادر، إلا ان النتيجة التي خرج بها السيد الأنصاري تبدو غير صحيحة من وجهة نظري لأن اختيار المحقق لبعض الكتب كمصادر في تعقيقه لا يعني بحال انه يؤيد كل ما في تلك الكتب بدون استثناء بل انه يؤيد الشيء الذي نقله من ذلك المصدر لا أكثر ولا أقل. ولو كان استنتاج السيد الأنصاري صحيحاً لما استطاع اي كاتب او محقق (في أي مجال) أن يجد كتاباً يستند إليه ويتعمد مصدره في تحقيقه لأننا لا نعرف كتاباً يتعمد بالمصنعة من ناحية المسد أو الدلالة سوى كتب الوحي التي لم يسلم منها من التحريف إلا القرآن الكريم. وعندما يكون الحديث عن التاريخ يزدد الطين بلة لأننا لا نعرف كتاباً تاريخياً يمكن تصديق جميع معولاته بدون استثناء

ولكن عندما يصل الأمر إلى يصبح الخطأ المطعبي دليلاً لا يقترن ويلقن عوام الناس انه اذا ارتكب شخص من امثالي خطأ في احد كتبه او محاضراته حين كتابته بل جميع كتبه وحتى وجوده سيكون جريمة وكفراً كما صرح احدهم بقوله ان شاباً مسلماً مؤمناً اراد ان يذهب ويخلص الناس من وجوده - أي وجودي أنا - بلمنة منجر، بينما نرى في منطق الدين البلدي انه اذا أخطأ المحقق في رأيه - حتى لو كان

مجتهدٌ وفقهاً ومرجعاً لتقليد كل الناس وبسبب خطأ من خطا الملايين من الناس - فإن له اجراً في عمله : «للمصيب أجران وللمخطئ أجر واحد»!

٦ - لقد ذكرت في مقدمة كتاب «معرفة الاسلام» اني اردت ان ارى النبي (ص) في المدينة المنورة من أقرب فاصل زمني لأكتب سيرته بطريقة كأني كتبها قبل ألف سنة (معرفة الاسلام ص ٤٦٦) هل يوجد مصدر بهذا القدم والاعتبار سوى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري؟

٧ - لقد ذكرت في تلك المقدمة: «اني تمصرفت عن وهي في الاستناد على المصادر القديمة التي يرجع تاريخ بعضها الى أكثر من ألف سنة لأنني اعلم ان أقدم مصادرنا التاريخية دوت في زمن الحكم الأموي والعباسي وان الحلفاء والسلاطين في هاتين الحكومتين كانت لهم اليد الطولى في تحريف الحقيقة والحلم والتدليس لصالح حكمهم مستخدمين بذلك سياسة الترغيب والترهيب تارة، والخطط الماسكرة أخرى كما كتبت على حذر أيضاً من ان السياسة التي تركز على النظام القبلي وتجعل الدين آلة لها هي اسوء آفة نصيب «الدين والتاريخ» ولذلك سميت قدر الامكان الى ان اصون نفسي من الاعلايب السياسية الاموية العباسية التي اربعب كبار مؤرخينا تارة وجعلت منهم عملاء لها أخرى

٨- لقد استندت في كتابة السيرة النبوية الى سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وقد طُرِئَ البعض ان هذين الكتابين كانا المصدر الوحيد في كتابة كل السيرة النبوية، ولا عجب في ذلك لانهم قد لا يعرفون شيئاً من فن كتابة التاريخ فان هذا المنهج في كتابة التاريخ موزول الى موضوع محدد تختلف فيه الآراء وهو نفس المنهج الذي يستخدم في تصحيح الكتب ذات النسخ المتعددة والمقتتة لكي يستشاهل احتمال الوقوع في الخطأ الى مستوى مقبول.^(١)

ومن المثير للدهشة هو ان نص السيرة النبوية التي دونتها في ثلاثة فصول «من هو محمد؟»، «تحليل شخصية محمد» و«سلاح محمد» تختلف تماماً من ناحية الروح والرؤية والحكم والتحليل عن سيرة ابن هشام وتاريخ الطبري، وأما من ناحية الأخبار ونقل الحوادث المادية او الحوادث المتفق عليها في حياة النبي (ص) (من قبيل شرح

(١) كما يستند الفقهاء في المذهب الشيعي الى الكتب الاربعة: «الكافي»، «التهذيب»، «الاستبصار» و«اس لا يحضره الفقيه» في الوصول الى الحكم الشرعي، غير ان هذا لا يعني انهم يتجهون ضامين هذه الكتب او يترجموها او ينقلون الفتاوى بل انهم يمتهدون في الوصول الى الفتوى ويرفضون بعض المضامين المنقولة في هذه المصادر بل يكرونها بشدة من قبيل القول بتحريف القرآن الذي ورد في كتاب «الكافي»، (المقصود بتحريف القرآن هو حذف بعض الآيات القرآنية من القرآن الكريم حيث نقل كتاب «الكافي» وبعض الكتب الأخرى روايات في هذا المجال، ولم يزعم أحد إضافة شيء الى القرآن).

الحروب وترقيع الاختلافات والمواد والارضاع الصالحة...) فليس هناك خلاف بين المذهبين الشيعي والشيخي وان كان ثمة خلاف فهو نادر ولا يرتبط بالمذهب الشيعي أو الشنّي، وأما بالنسبة لموارد الاختلاف التي هي محل اهتمام الشنّة والشنّة والتي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بقضايا خاصة تتعلق بالمذهبين فقد اجتزب فيها حدود هذين الكتابين بل جميع كتب أهل السنة ولم أبعث في الكتب الساريفة الشيعية فحسب بل بحثت في كتب التفسير والحديث ونصوص كتاب نهج البلاغة وحاولت العثور على المقائق التاريخية كما هي ولو اتقى التاريخ المطلق نظرة عابرة على كتاب «معرفة الاسلام» ورأى مصامين من قبيل: عتي في حركة احمد (ص ١٨٣)، علي في حنين (ص ٣١٨)، غضب علي (ص ٣٦٠)، مهمة علي الخاصة في ابلاغ الجبراء (ص ٣٨٠)، قدوم علي من اليمن واستنائه (ص ١٩١)، مصير الائمة بعد النبي (ص ٤٢٣)، الإمامة وعلي (ص ٤٢٧)، عصية أبي بكر في وجه علي (ص ٤٣١)، عدير غم ونزول آية تكميل الدين بعد خطبة القدير (ص ٤٣٢)، المماثلة في ارسال جيش اسامة (ص ٤٣٣)، احضار علي للصلاة (ص ٤٤١)، طلب القلم والدواة للوصية (ص ٤٤٣)، التأمر للحيلولة دون تدوين الوصية، بدء النبي الصامت، رأس النبي في حجر علي (ص ٤٤٦)، لم يجب أحد سوى علي (ص ٤٩٠)، عصية أبي بكر (ص ٤٩٣)، أبو ذر (ص ٤٩٥)، علي وأبو ذر (ص ٥٨١)... لأدرك مدى

استقلالي عن كتب أهل السنة ومدى نجاحي في استغلال مبادئ الشيعة من لسان وقلم أهل السنة ومصادره الموثوقة، ولأدرك السبب الذي جعلني أكتب أحد فصول الكتاب تحت عنوان «موت النبي» وأشرح أحداث السنة الأخيرة من حياته في هذا الفصل وكيف أنني سمعت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى عرض ملامح عليّ في وجه النبي (ص) وحاولت أن أعرض حقيقة اهتمام النبي بعليّ وعنايته به في كلامه وعمله وجميع حالاته وتصرفاته وحتى قراراته السياسية والعسكرية، خصوصاً في السنة الأخيرة من عمره، وسيرى القاري أيضاً أن قلبي واسلوبي يتميز عندما يكون الحديث عن علي (ع) وأن كلماتي تكاد أن تظهر شوقاً عدو وصمه وتوشك أن تلتفت حول نفسها ألماً عند بيان آلامه واحزانه وسوف يرى أن الدين حاولوا بهام الناس بأن هذا الكتاب يتنافى مع الفكر الشيعي هم يعمدون كل البدع عن الانصاف مهما كان دافعهم وهدفهم.

س: هناك شائكة تقول أنكم لا تؤمنون بخلافة الإمام علي (ع) طبقاً لحديث غدير خم المروي عن النبي (ص) خير أن كتابكم «معرفة الاسلام» يمد هذه الشائكة الرجاء الافصاح عن رأيكم في هذا السجال بشكل صريح وبدون أي بهام.

ج: أعود بالله! مكناب «معرفة الاسلام» موجود وقصة المدير المذكورة فيه بوضوح وقد أثبت في الكتاب عدم كفاءة أي شخص كان

يحتمل أن يلقئ الناس حوله بعد وفاة النبي (ص) مشيراً إلى أن علياً (ع) هو الشخص الوحيد الذي يليق به أن يحوز هذا المنصب وذكرت في الكتاب قصة التدبير بهذا فغيرها

أن شخصاً مثلي إذا أراد الافصاح عن رأيه وافكاره هي الله والمدير والنبي والقرآن والإمام وعلي وعمر وأبي ذر وعبد الرحمن بن عوف والحسين والإمام الموعود والدجال والدعاء والصبح والاسامة والعدل و... فليس أمامه سوى «الحديث» و«الكتابة» ولكن كيف به لو كان الناس في مجتمعه لم يؤدوا أنفسهم على «الاستماع» و«القرءاء»؟! مثلاً أنهم يقولون: انك لم تطرح مسألة الولاية بشكل واضح وصريح ولم تتحدث عن حق علي (ع) بشكل واف عندما تحدثت عن الشورى في فصل «قواعد الاسلام» في كتاب «معرفة الاسلام» وهذا كلام صحيح غير أنني ذكرت في مقدمة الكتاب أنني أخذت هذه «القواعد» من «فريد وجدي» وإنما تشكل مجموعة دروسي الأكاديمية في تاريخ الاسلام في النصف الأول للسنة الدراسية وقد خصصت النصف الثاني من السنة الدراسية للبحث في الولاية والامامة وموضوع السقيفة وعد طبع هذا البحث ونشر في الأسواق.

صحيح أنني لم أذكر شيئاً عن الولاية والامامة في هذا الفصل الذي نقلته عن هردى وجدي غير أنني كتبت عشرات الصفحات في نفس الكتاب في بحث السيرة النبوية وذكرت عشرات المرات فضيلة

علي وحقه وامامته ومعرضت بضرب الخلفاء وعصية أبي بكر وضرورة العمل بوصية النبي (ص) ونقلت قصة المدير بتفصيل واستكرت مبدأ الشيعة والشيعة والنظام الديمقراطي في الحكم. ثم اني كتبت بعد كتاب «معرفة الاسلام» أكثر من ألف صفحة عن امامة أهل البيت وعقائد الشيعة وتاريخهم وقد طبعت هذه الكتب أكثر من مرة وبأعداد عتيرة جداً، كما سجلت لي محاضرات عديدة في هذا الموضوع قد يتجاوز عدد ساعاتها عن الخمسين ساعة ووزعت آلاف الاشرطة المسجلة في أنحاء هذا البلد بحيث يعرف كل اطفال المدارس سمعتم ألقى السمع وهو شهيد ولم يكن له أي غرض أو مرض - شيئاً عن آرائي واقتكاري في المذهب الشيعي كما أقيمت في السنوات الست الماضية في حسنة والارشاد أكثر من مئتي محاضرة حول الشيعة والولاية وأهل البيت (ع) وقد سجلت كل هذه المحاضرات ووزعت في الاسواق ويمكن الحصول عليها أو تسجيلها بكل سهولة. كما كانت جميع الفعاليات المسرحية التي اجراها الطلبة الفنانين في الارشاد بدون استثناء تختص بالمذهب الشيعي من قبيل: أبي ذر القفاري، الحسين وارث آدم، ثورة المدومين الشيعة (سريداران)، ثورة التوابين و..

وأما في موضوع مسألة الولاية فان الكتاب الوحيد الذي كتب بنية علمية وبأسلوب سلس وارتكزت مضامينه على اساس الدراسات التاريخية والقرآن والسنة النبوية الشريفة، (لا على اساس التهريج

والسبب والقتل والاختراء والاستناد الى امور تتنافى مع روح الاسلام والتشجيع والمقل السليم وتسبب الاساءة للشيعة وهتك حرمتهم) هو كتاب (الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة) والذي نشرته حسينية الارشاد حيث يضم هذا الكتاب بين دفتيه موجزاً ملخصاً للدراسات العميقة التي قام بها الاستاذ محمد تقي شريعتي والتي تشمل على أقوى الدلائل العلمية عند الشيعة وأكثرها منطقاً، فقد ردت الاستاذ في هذا الكتاب جميع الاتهامات والتشبهات التي طرحها المخالفون خلال القرون الاربعة عشر الماضية مراعيين بذلك الانصاف العلمي وأدب الجدل ومستنداً الى القاعدة الرئيسة التي ينبغي ان تنطبق عليها جميع المذاهب الاسلامية. وقد اثبت الاستاذ للأهوية السكينة ولمفكرينا الشيعة من تأثر منهم بأبواق الهدى وعلامه أو حمل افكاراً سلبية اراء عبادي، التشيع العلوي بسبب الانحراف والتخلف الاجتماعي والفكري والاعلامي الذي يعاني منه بعض دعاة الدفاع عن هذا المذهب انب لهم ان المذهب الشيعي هو الروح الحقيقية والمنهج التوفيق للاسلام وان المثقف الحر الذي جعل من القرآن والسنة قدوة له وتعرف على روح الاسلام والعدالة في التاريخ واستطاع ان يحل نفسه من شتى القيود سواءاً خلافة بني امية وبني العباس أو الحكومات التي ورثتها أو الخطط والمؤامرات الاستعمارية التي زرع بذور الفتنة والفرقة بين المسلمين، سيأخذ طريقه شاء أم أبى الى ميت قاطعة

وسيسمى الاسلام من لسان علي تاركاً وراءه تصور الظلم في دمشق وبيداد ومساجد الضرار والمصاحف المرفوعة على الزمّاح

إلا أن هذه الجماعة المبتلاة بداء التحجّر والامتلاق لا تزال تهال علينا بأنواع التهم والافتراء وتمكّر الاجراء خدمة للأصلاء رغم كل الجهود العظيمة التي بذلت في هذه المدة القصيرة ورغم أن هذه النهضة الاسلامية التقدمية المرتكزة على رؤية شيعية علوية تحريرية قد لاقت اقبال المفكرين وأصحاب القلم وخصوصاً الشباب المستقف والطلبة الهامسين داخل القطر وخارجه، ورغم جميع الأدلة والقرائن والمعاضرات والأعمال المسرحية والاجتماعات وملتقيات البحث والتقد والندروس والمعالم الواضحة والتجاذبات الباهرة التي أذهن لها لمدوّ ولصديق.

اذن ليس بوسعنا إلا أن نتحدث ونكتب وسورة على اشاعات الأعداء والمعرضين والأثنيين والانتكاريين ودولك الدين يستقون أنفسهم «مؤمنين» غير أنهم لا يجيدون ما يعمهم من الظن والسكيل بمن وقفوا حياتهم في سبيل «الايان» بل حتى تكثيرهم قبل قراءة ما كتبوا أو الاستماع إلى أحاديثهم مكتفين بالاستناد إلى المعلومات والاختبار والتهم المصادرة عن مصدر مشكوك ومجهول وموهوم اسمه «قالوا»!

أريد أن أقول لهؤلاء الاخوة، اخوتي، نحن جميعاً ضحايا

لؤامرة واحدة فتحن وإياكم يجمعنا ايمان واحد وألم واحد وطريق واحد، فكلنا مسلمون وكلنا نؤمن بكل وجودنا وأخلاصنا بالعترة الشريفة وكل هذه الاتصاعات هي من أجل أن لا نتصرف على بعضنا وأن لا نقف وقفة واحدة في وجه عدونا المشترك.

ولهذا نرى أن تدوين الآلاف من المصنفات والتحدث مئات الساعات في اثبات التشيع والامامة والوصاية لا يفي شيئاً وأن كل ما كتبه وتحدثت به في موضوع الشجرة الشريفة والاخلاص لها وجميع آرائي العلمية والطائفية والتاريخية الجديدة في موضوع عظمة علي (ع) واصالة مدرسته لا تدلّ بمكان على انتمائي للمذهب الشيعي! حسب ما تراه هذه الجماعة التي تحكم على الناس بدون مطالعة كتبهم والتدقيق في أمورهم بل تستند في حكمها على اخبار وكالة (قالوا)!

اذن عليّ أن أقلد استاذي العيب أبا ذر الثفاري الذي أخذت منه اسلامي وتشيعي وهدمي وألمي ومحتني وشماري وأشاركه في صرختي التي هزت المدينة والشام وهي ظفره الذي لم يراع فيه «المصالح»! فلم يجلس أبو ذر جلوس أهل العلم والتعميق والتقد ليشرح «الحقائق» في لثيف من المبارات المتنامصة وأمام العلماء والخواص فقط رعاية لمصالح بل نراه يحمل عظماً يجده في الزقاق ويذهب إلى خليفة رسول الله ويصرخ بوجهه:

«يا عثمان أئلك انت السب في فقر النعماء وغنى الاغنياء»

ويصرخ في وجه كعب الاحبار صاحب الجلالة والاحترام والرجل العالم بالدين عند اليهود والاسلام والذي كان مرتجعاً للصحابة في تفسير القرآن ونهم الاسلام: «يا ابن اليهودي أتريد ان نملأ دينا؟» ثم يطره بظم البعر - سلاحه الوحيد - ويشج به رأسه لينثى الى الضام حيث معاوية وقصره الأخضر لصرخ يوجهه هو الآخر: يا معاوية ان كان هذا القصر من مالك فهو اسراف وان كان من مال الناس فهو خيانة! ويذهب الى المسجد لقرأ آية «والذين يكتزون» ويروي الأحاديث التي لم تكن المصالح تقتضي روايتها ويصر على قراءة هذه الآية ورواية تلك الأحاديث ليشير غضب كبار الصحابة واصحاب المراكز القوة في السلطة من المهاجرين والانصار ممن اشتكوا في غزوات الرسول وكانت لهم سابقة طويلة في الاسلام. اتهموه بالكفر والحضان والتمرد على قوانين الشرع والخروج من الاسلام والسعي الى بث الفرقة بين المؤمنين وورع بذور الاختلاف بين المسلمين، بقي وحيداً بعد ان غاء خليفة الاسلام من المدينة وواليه من الشام وسلفه اصحاب المصالح من الشخصيات الاسلامية بالأسنة حديد واتهموه بالارتداد عن الدين والكفر بالله ورسوله والقرآن والمعاد!

قبل سبعة عشر عاماً وعندما كنت أكتب قصة أبي ذر ووصلت الى الوقت الذي نفي فيه من الشام الى المدينة كنت استغرب من كلامه عند ما خاطب الناس ممن جاء منهم لتوديعه قائلاً: ايها الناس اني اشهد ان

لا اله الا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله!

ولكنني أعلم الآن لماذا فعل ذلك؟ لأن أهل الشام كانوا جميعاً ضحايا لإعلام معاوية المضلل وكانوا قد أخذوا اسلامهم من اجسزته الدعائية والتي كانت تبليغ للاسلام والشخصيات والحوادث الاسلامية بالشكل الذي تقتضيه مصلحة معاوية ونظامه وطبقته، وهذا هو السبب الذي جعل الناس يتسامحون بدهشة عندما أخبروا بمقتل علي في المسجد، فماذا كان يفعل علي في المسجد؟ أكان يصلي؟ ثم اننا نعلم ايضاً ان الامام السجاد وحسنه زينب (ع) عندما دخلا مدينة دمشق وهم يسيرون امام القافلة لم يكن الناس يصرخونهم بل كانوا يشتحبونهم للحصول على الثواب لانهم كانوا يظنون انهم من الصوارج الذين يريدون زرع بذور الفتنة ان اسلام أبي ذر وقرأته كانا يهددان النظام الأموي من جهة، ويمرضان لدخول مصالح الخطباء والمفتبرين والفقهاء والصحابة وائمة الجمع والجماعات ممن كانوا ينتمون لهذا النظام من جهة أخرى، وهذا هو السبب الذي جعلهم يتهمونه بالكفر والارتداد لانها اسهل طريقة للتخلص منه كما ان افضل تهمة في المجمع الشيعي هي ان يتهموا الشخص بأنه ليس شيعياً بل هو من السنة والواهيين!

وهذا هو السبب الذي جعل أبي ذر يضطر الى اعلان شهادته بعد خمس وأربعين سنة من القتال والجهاد في ركاب الرسول والخدمة

والتعليم في سبيل الاسلام، والأعجب من ذلك هو ما كتبه الامام الحسين (ع) في وصيته التي أعطها الى أخيه محمد بن الحنفية عند مراكه المديد فكانت هذه الوصية بتدريء بهذه العبارة: «أَنَّ الْحُسَيْنَ يَعْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...» فاعتبروا يا أولي الأبصار

ولذا أرى من الضروري ان أعلن بصراحة عن تشييعي وعن اصول عقائدي التي كنت عليها طوال عمري وقدمت في سبيلها شباي وعشرين سنة من دراستي وكتابتي وكلامي وعملي وان أقول: «أني المدعو علي شريعتي المتهمة بجميع الاتهامات التي يقدر اللسان أن يطلق بها، اعتقد اعتقاداً كاملاً»؛

١ - وحدانية الله

٢ - حقانية جميع الانبياء من آدم (ع) حتى محمد (ص)

٣ - رسالة النبي محمد (ص) وحاشية نبوته

٤ - ولاية الامام علي (ع) وامامته ووصايته

٥ - الفرة الظاهرة بصفها باب المصحة الوحيد للوصول الى القرآن والسنة

٦ - ان اعلان النبي (ص) عن امامة علي (ع) ووصايته لم تتم في خدير خم فحسب، بل في واحد وعشرين مكاناً آخر استخرجتها ودُرستُها جميعاً

٧ - ان النوري (البيعة والاجماع والديمقراطية) هو مبدأ اسلامي

الا الله لا يعمل به إلا في حالة عدم وجود المبدأ الأهم وهو الوصاية المستندة الى كلام الوحي، وأن التمسك بهذا المبدأ في شوري السقيقة هو تستف باستعمال مبدأ من اجل سحق مبدأ آخر ذي أهمية أكبر وهو وصية النبي (ص) وحق علي (ع)

٨ - ان النبي (ص) كانت له رسالتان: احدهما ابلاغ الوحي (النوم)، والثانية: بناء الامة (الامامة). وقد ختمت رسالته الأولى في زمن حياته (ص) إلا أن رسالته الثانية كان عليها ان تستمر لعدة اجيال متوالية (ثلاثة قرون) تحت قيادته هو وأوصيائه الاثني عشر. يعبارة أخرى ان النبي (ص) كان خامساً لرسالة «نبوته» وأن الائمة (ع) كانوا خاتمين لرسالة «امامته».

٩ - لم يهر التاريخ حسب ارادة النبي (ص) وسبقه بل اخذ منحرف بعد السقفة بالتدريج فانشب الاسلام الى شعبتين رئيسيتين النفس وهو الاسلام الذي سترته الطبقة الحاكمة وترعرع على يد الحكام والائمة التابعين لهم، والتشيع وهو الاسلام الذي أخذ مجراه بين الأوساط المعروفة والناس المظلومين الناشدين للعدالة. فأصبح الأول اسلام الخلافة والتمييز والاستبداد والاستغلال، وظل الثاني اسلام الامامة والعدالة والحرية والمساواة.

١٠ - ان الخلافة هي التي انصرفت في التاريخ، ولم تتحقق الامامة على الصعيد الاجتماعي فحصلت الفية

١١ - أن عصر النبوة (ابتداءً من غيبة الإمام الثاني عشر حتى ظهوره في آخر الزمان) هو عصر مسؤولية الناس في القيادة الاجتماعية وهو العصر الذي يختار الناس فيه قائداً لهم تحت عنوان «نائب الإمام».

١٢ - أن مبدأ «انتظار الفرج بعد الفسدة» هو الإيمان بدين الاعتراض والإيمان بـ «الفلسفة الجبرية للعاريف» وروال النظام الاجتماعي الظالم والتمييز الطبقي الجائر زوالاً نهائياً. بمعنى الانتظار هو أن قائم آل محمد (عج) ينتظر ثورة الناس على الظلم المهيمن على العالم وإن الإمام الموعود المنتظر السليح القائم الصمصام المنتقم الذي سيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً هو الذي ينتظر في الحقيقة ثورتنا.

١٣ - أن القول بأن أصول المذهب الشيعي هما «الإمامة» و«العدل» وأن التوحيد والثبوت والمعاد هي أصول الدين الإسلامي، قول غير صحيح لأنه يستلزم اتهام الشيعة بأن مذهبهم هو الإسلام ومعه شيء آخر. بل اعتقد أن التوحيد والنبوة والمعاد هي الأصول الثلاثة للدين بمصاه الأعم لأن الدين الذي يعتقد أحد هذه الأصول ليس ديناً وإن للإسلام أصولاً أخرى وهي «الإمامة» و«العدل» وأن التشيع لا يعني شيئاً سوى الإسلام أي القرآن والسنة وأن هذه المعادلة هي المعادلة الصحيحة:

التشيع العلوي = التسنن المحمدي = الإسلام - (المخلاق السياسية + أنواع التمييز العرقي والقومي والطبقي).

١٤ - كما يؤمن بالتقليد (بمعنى تقليد الناس للفقهاء المتخصصين في الفروع العلمية والاحكام الفقهية أو التقليد الفني والتخصصي والعلمي لا التقليد العقلي والفكري ولا التقليد في اصول الدين).

١٥ - كما يؤمن بالتقية لا بسبب الخوف، بل حفاظاً للإيمان ولا تشكيهاً بالظالمين الذين لا يشعرون بأي مسؤولية بل تشكيهاً بالمؤمنين الذين يجاهدون سراً من أجل انتصار الحق والعدل والإمامة (مبدأ الكتمان في النضال) وأؤمن أيضاً بتقية الشيعة في المجتمع الإسلامي الكبير تجاه المسلمين من أهل السنة كفاً للتطرف المذهبي والتعصبات الطائفية وسعياً إلى توثيق أواصر الود والمحبة وتحقيق الوحدة بين المسلمين ضد عدوهم المشترك.

١٦ - وأؤمن بالاجتهاد بمعنى الجهد العلمي العسر الذي يبذله المتخصصون الراعون في البحث الدائم عن الحقائق الإسلامية والتكامل في فهم الإسلام والاجابة على المسائل المستجدة والمطالب الاجتماعية الملحة والمشاكل التي يواجهها الناس في كل عصر ومصر.

١٧ - وأؤمن بالمرجعية العلمية ونياية الإمام لتصدي القيادة الفكرية والاجتماعية وتميئة الطاقات وتوظيف القوى والامكانيات من

أجل نصر الدين والاحتمام بحياة الناس وتأسيس ثقافتهم الدينية والتأريخية

١٨ - كما يؤمن بدفع الزكاة وسهم الامام لتأمين الميزانية الاقتصادية من اجل ادارة المؤسسات العلمية والاجتماعية وتنفيذ البرامج والأهداف العلمية للمجتمع الشيعي (لا مجتمع الشيعة).

١٩ - واؤمن بإقامة مراسيم العزاء في شهر محرم وعاشوراء واحياء ذكر الائمة (ع) وتأسيس الصوف والمجالس الدينية وحتى اليكاه بمعناه الصحيح، وهو توعية الناس وتطيق المجتمع واحياء رسالة الشهداء لا بمعنى كونه عادة وراثية سنوية، لأنَّ الشهيد حتى يرقى ولا يحتاج لمن يبيكه، بل يحتاج الى من يسير على دربه، فالشيعي هو السائر على درب عليّ والحسين وريث العترة الشريفة، والتشيع هو عمل حقيقي، فهو لا يعني المبردية التي تساهى مع التوحيد ولا يعني أيضاً الحب لأنه أمر عاطفي يعتمد على المعرفة والعمل.

٢٠ - كما يؤمن بشفاة النبي والائمة الأطهار (ع) واؤمن حتى بتراب شهيد الحرية العظيم الامام الحسين (ع) كمعامل مهمة في سبل «الأهلّة اللازمة للنجاة»، لأنه لا ينال الشفاة في يوم القيامة الا من كان أهلاً لها^(١)

٢١ - واؤمن بالدعاء لا بوصفه وسيلة للتخدير وبديلاً للعمل

(١) راجع الآية (٢٣) من سورة الرعد والآية (٨) من سورة غافر

والمسؤولية وطريقاً للنجاة الفردية أو طريقاً فردياً للسجاة بل عكس ذلك أي بوصفه عاملاً قوياً في تنمية القيم الانسانية المستمالية وطرح المطالبات الرفيعة وتلطيف الأرواح من الصدأ والتزجس. وتري الدعاء في أكمل أشكاله في مدرسة الامام السجاء (ع) يعمل في «الحب والافتقار والوحي والاتصال».

٢٢ - واخيراً يؤمن بالتشيع العلوي تشيع الشفاة الأحمر لا تشيع العزاء الأسود

ص: لقد ذكرت في كتاب «معرفة الاسلام» (طبع مشهد ص ٤٤٥) ان النبي (ص) ابتسم ابتسامة تدل على الرضا عندما رأى الناس يصلون مع أبي بكر وطلب منه ان يواصل امامته بل حتى انه اتهم به وصلّى الى جانبه وهو جالس هناك سؤالان في هذا المجال، أولاً، طبقاً لما ذكره في هامش الصفحة (٦١٥) والرواية التي رويتها في الصفحة ٤١٦ كان النبي (ص) قد رشّع علياً (ع) للصلاة بالناس فهل تعتقدون حقاً ان النبي (ص) يسي حساسية هذه الصلاة ويضيق أنظر عن احتمال التصف الذي يجمع عنها ويسمح لأبي بكر - رغم ارادته - ان يهتني نفسه لخلافة المسلمين وادارة امورهم؟

ثانياً، هل تعتقدون انتم (لو فرضنا صحة هذه الرواية) انها دليل على موافقة النبي (ص) على امامة أبي بكر للصلاة أو خلافته في المستقبل؟

ج: هذا هو نصّ البيارة التي وردت في كتاب «معركة الاسلام»:

«في صباح يوم الاثنين... اعانته صحوة الموت على التهور من فراشه... وقع الشنار فشاهد الناس يصلّون مع أبي بكر... غمّرت فرحة لأنه شاهد المسجد والناس مرة أخرى وألقى المسلمين وهم يحافظون على وحدتهم وعظمتهم رغم غيابهم».

كما تلاحظون - ان السب في ائسامة النبي وفرحته هو اتحاد المسلمين وعظمة صلاتهم ورؤية المسجد والناس بعد مرض طويل ألم به لا صلاة أبي بكر إلا ان افضال كل هذه الفضيلة والتمهم والسب الذي صيّر صلاة أبي بكر في هذا الكتاب كمبص عثمان هو قصّة تاريخية وليس عقائدية

فالمسلمون من أهل السنة يقولون: ان أبا بكر كان اماماً للجماعة في ذلك اليوم بينما ينكر الشيعة هذا الأمر

ان أهمية هذه الصلاة هي بسبب تشبث أهل السنة بها لمقدمهم للأدلة والبراهين الكافية تبعاً للمحل القائل «المريق يتشبه بشبه» هم يستندون الى حديث شخص ما (عمر أو شخص آخر) اذ قال آنذاك:

«سختار لديننا من احتاره النبي لديتنا».

هنا يمكننا الاحتجاج مع أهل السنة بطريقتين: الأولى هو ان أبا بكر لم يصل بالناس في ذلك اليوم، بل ان النبي (ص) هو الذي وقف

للصلاة بنفسه إلا ان هذا الاحتجاج لا ينتهي إلى أي نتيجة لأن طرفي النزاع سيستند كل منهما الى كتبه وأسانيده الخاصة ولن يقتنع بما يحتاج به خصمه.

اما الطريق الثاني فهو ان نفترض - مماشة للخصم - ان أبا بكر صلى بالناس فعلاً ثم تساءل: أولاً، هل يحق للناس الذين اقتدوا بصلاة أبي بكر ان يختاروا الخليفة؟ وقد اثبتنا بأدلة واضحة ان العربي الذي كان يعيش قبل أربعة عشر قرناً من الزمن كان يفقد البلوغ والنضج الكافي لتأسيس حكومة ديمقراطية تتركز على حق الانتخاب والشورى

ثانياً هل تصح الشورى التي لم يحضر فيها بنو هاشم والكثير من الصحابة الكرام من أمثال سلمان وأبي ذر وحشار والمقداد وسعد بن عباد والكثير من الانصار؟ ولذا نرى أمير المؤمنين (ع) ينتقد هذه الشورى في احد أشعاره المشهورة.

وثالثاً: هل كان أبو بكر أهلاً للخلافة ولم يكن في الأمة الاسلامية من هو أولى منه بها؟ لقد اثبتنا عدم اهلية أبي بكر وجسيع «صحابه (سوى علي (ع)) لهذا الأمر».

وقد صرّح الإمام علي (ع) كراراً ومراراً في كتاب نهج البلاغة بأهليته لهذا الأمر وعدم اهلية غيره: «لقد تقصصها فلان وهو يعلم ان محلي منها محل القطب من الزحى»

رابحاً. هل تتساوى الشروط التي يجب أن يبرزها امام الجماعة مع الشروط التي يجب أن يبرزها خليفة المسلمين؟ لا شك أن شروط امامة الصلاة تختلف كثيراً عن شروط زعامة المسلمين وأن هذا الاختلاف هو بدرجة من الوضوح تمنينا عن الحوض فيه. إذن فالمعارفة بين امام الجماعة وامام المسلمين هي - من الأساس - مقارنة خاطئة وأن الاستدلال بهذه الطريقة هو دليل واضح على فقدان الخصم للأداة المضمرة وصعوه عن إقامة الدليل والبرهان.

وفي الحتام أود أن أذكر أن البعض أرادوا أن يثبتوا عدالة أبي بكر استناداً إلى هذه الرواية فنقول في جواب هؤلاء:

أولاً: حتى لو فرضنا أن النبي (ص) أقر بعدالة أبي بكر فإن ذلك لا يدل على أهليته للخلافة لأنه ليس من حق كل عادل أن يكون خليفة. ثانياً: أن الشيعة لا يقرّون بصحة صلاة أبي بكر وأن السنة لا يوجبون العدالة لإمام الجماعة أي أن العدالة ليست شرطاً من شروط اسام الجماعة عند أهل السنة، إذن ما هو الداعي للبحث والتجدل مع الاخوان أهل السنة في الاقرار بصلاة أبي بكر وانكارها

س. أن أسلوبكم في نقد الشعارات المذهبية الدارجة والدعاة إليها هو أسلوب لاذع، أليس من الأفضل أن تتخذوا طريقة المسحقين المعتدلين وتكتفوا بالتحليل والنقد وتكفوا عن التكتل اللاذعة التي لا تطابق الحق أحياناً؟

ج. قد اشرتم إلى موضوعين مختلفين في هذا السؤال: الأول هو أن أسلوبى في نقد الشعارات الدارجة والدعاة لها هو أسلوب لاذع، والآخر هو أن تكتي اللاذعة لا تطابق الحق أحياناً

(والظاهر من كلامكم هو أن تكتي اللاذعة تطابق الحق «غالباً» أو «بشكل عام» أو أحياناً على الأقل)

أما بالنسبة للمق الثاني من السؤال أي «التكتل اللاذعة التي لا تطابق الحق» فإنها ليست قابلة للدفاع لأن الشخص الذي يقوم بهذا العمل إما أن يكون عالمياً يقيامه بعمل لا يطابق الحق ومما أن يكون جاهلاً بذلك، أى إما أن يكون معرضاً أو جاهلاً وأعود بالله من أن يكون من المعرضين أو الجاهلين والويل كل الويل لي أن لم أميّز الحق من الباطل أو أن تكون حياتي عرضة للأغراض والأمراس بعدن قصيتها - كما أظن - بالبحث عن الحق والحقيقة إلا أنكم لم تشيروا على الأقل إلى نموذج واحد طعنته - يشير حق بتكته لاذعة، لكي أعرف ما هو ذنبى وبماذا علي أن أقرّ وعن أي شيء علي أن ادافع؟ أنه اتهام لم تذكروا فيه مورد التهمة. إذن هل سيكون التحديث عن هذه التهمة نافعاً؟

أما الشق الأول من السؤال فهو استفسار عن سبب استخدامى لهذا الأسلوب اللاذع في نقد العادات والتقاليد الباطلة - وهو استناد صحيح - معلى أن أنساءل: ألا يبرز «بطلان» هذه العادات والتقاليد أسلوبى العاد واللاذع هي النقد؟

بالطبع انني اعلم ان هذه الطريقة لا تتناسب مع كل زمان ومكان وهناك مجالات علمية كثيرة يجب على الباحث ان يتبع فيها طريقة علمية محضة بعيداً عن الفسجة والتطرف والمواقف.

فلو كنت فيلسوفاً مثلاً وتباحثت مع فيلسوف آخر في موضوع تقدم الوجود على الماهية أو موضوع حدوث العالم وقدمه، ولو كنت صوفياً يدي رأياً جديداً في موضوع النزاع القديم بين المشائين والاشراقيين في تعارض العقل والمشى، ولو كنت فقيهاً وحاولت مثلاً اصدار فتوى جديدة في عدم حرمة الخمر، ولو كنت اديباً وكنت في موضوع وجه الاقتراع بين الفن والأدب، ولو كنت شاعراً وثقت الشعر القديم وطريقة شعرائنا المعاصرين (القدماء) الذين لا يدركون عصرهم ومجتمعهم، ولو كنت مستتراً للقرآن وأضكلت على أكبر المعسر من التريقين، ولو كنت واعظاً وصرحت ان الموعظة يجب ان تتبع اليوم الطريقة العلمية في التعليم والتربية وعلى الواعظ أن يكون مسلطاً بطم النفس والاجتماع والأدب وفنّ الاعلام والعلاقات الاجتماعية وعليه ان يترك الطريقة القديمة المملة في الوعظ، ولو كنت مهندساً معماراً أو مؤرخاً أو غير ذلك، بطبيعة الحال كان علي ان اتخذ الطريقة العلمية في التحقيق كي لا يحترق القدر والحساء ولا تفسد كلماتي احداً بسوء فيعظم قدرتي بين العلماء!

ولكن ما علي أن افعل اذنا نست محققاً علمياً بل كائن ضعيف

يرهقني ثقل التذويب والشهادة لمئات السنين من التاريخ كحبة قمح صغيرة بين مطرقة الاستعمار الخارجي وسندان الاستعمار الداخلي القاسيين. فكيف يا اخي تريد مني ان اكون محققاً فاضلاً محترماً مؤدياً موقراً؟!

عندما ذهبت الى مصر لمشاهدة الاهرام لم اذهب الى قبر الفراعنة - كما يفعل المحققون المحترمون - بل ذهبت الى قبو الآلاف من العبيد الأفاقة الذين ماتوا تحت السياط وهم ينتقلون الصخور الضخمة من اسوان الى القاهرة فكان يموت منهم يومياً العشرات والبنات ويدفنون في هذه القبور الجماعية. عندما جلست على فيور هؤلاء الأخوة شرت انني اتحدث معهم. فكنت اتلو على قبورهم مأساة خمسة آلاف عام من الجوع والظلم والخوف والمشقة وكانوا ينهبون مني مأساة حياتهم السوداء.

قلت لهم: اخوتي مصر خمسة آلاف عام وانتم نائمون في هذه القبور إلا أني كنت طوال هذه المدة اعيش هذا التاريخ الأسود مع القراءة والقبضرة والأكاسره وامثال قارون وطمع بن باعوراء واليوم لجأت الى بيت فاطمة المهجور هرباً من اولئك الطواغيت وتلك القصور والمآبد والمخزائن هوضت رأسي على جدار هذا البيت ولم يخدعي مد الف واربعمئة أي كافر ومسلم فإن في هذا البيت فاطمة وعلي والحسن والحسين وزينب

إلا أنني أرى قوماً جعلوا من هذا البيت حائزاً لمصالحهم وجعلوا من هذه الكعبة - القبلة التي حُررتي قبل خمسة آلاف عام من الرق والجور والجهل - قاعدة للجور والجهل. ثم تأتي أنت وتطلب مني اتباع الطريقة المليمة الهادئة اللطيفة الناعمة المترفة في تحقيقي؟!

إن منطق إنسان شيعي مثلي هو ليس منطق ابن سينا والنزالي والمحقق والمستشرق بل هو منطق أبي ذر الذي شجَّع بظلم البعير رأس كعب الأحبار في محضر عثمان! إن النزاع يا أخي ليس على «ظريفة علمية» بل على ميراث عبد الرحمن بن عوف

من: لقد اشدتكم في الكثير من كتبكم من قبيل: «معرفة الاسلام» و«فاطمة هي فاطمة» و«التشيع الصلوي» و... يدور علماء التشيع (الروحانيين) واشترسوا إلى فلسفة وجودهم والخدمات التي قدّموها إلا أنكم انتقدتم في الوقت ذاته وفي مواضع أخرى النظام السائد في المجتمع العلماني وتعدتكم في هذا المجال بشكل مطلق ولم تستنوا بعض العلماء والمدرسين والفصلاء والطلاب من انتهاكاتكم الحادة. لماذا هذا التناقض؟ الاشارة والمدح أحياناً والذم أحياناً أخرى؟

ج: يجب أن نتفق على معنى كلمة «الروحانية» وبمبى مصاديقها في البدايه ثم نتطرق إلى الآراء والانتقادات الواردة في هذا المجال. أتبى اعتقد أن كلمة «الروحانية» ليست مصطلحاً إسلامياً ولا شيعياً بل هو مصطلح مسيحي دخل أخيراً في معرداتنا اللغوية، فلم ترد في

نصوصنا الإسلامية كلمة بهذا المعنى بل إن المصطلحين اللذين يستخدمهما المسلمون بدل «روحاني» و«جسماني» هما «العالم» و«المسلم». إذن علينا أن نستخدم كلمة «العالم الإسلامي» بدلاً من كلمة «الروحاني»، من هو العالم الإسلامي؟

إنه - حسب رأيي - الشخص الذي يعرف القرآن في الدرجة الأولى ويعرف النبي (السيرة والحديث والسنة) في الدرجة الثانية ويعرف أهل البيت وسيرة الأئمة والصحابة وشخصيتهم في الدرجة الثالثة ويعرف الثقافة الإسلامية في الدرجة الرابعة ويكون متخصصاً في إحدى العلوم الإسلامية: الفلسفة الإسلامية، تاريخ الإسلام، علم الحديث، علم الرجال، علم الأصول، الفقه وغيرها في الدرجة الخامسة (وإن كان التريب المعاني شيئاً آخر). أما الشخصيات «الروحانية» المحروسة المدللة المقدسة التي تشع نوراً لكنها لا تعرف شيئاً ولا تحيط علماً بأي شيء، فأنبي عاجز عن معرفتها ولا جدوى من أن ألوم نفسي على ذلك. فما يسمى إن أصل؟ إن الله تعالى لم يطني هذه الصابلية لأفهم فائدة هؤلاء وإن كان عوام الناس يعشرونهم ويفسدونهم أكثر من أولئك الذين ذكرتهم في مسهل حديثي. أتبى أسمي هذا النوع من رجال الدين «الروحانيين» (لأنه لا يوجد اسم محترم آخر ليس له دلالة على أي معنى). أرجو أن لا تلوموني على هذا الرأي لأنني شغطت على نفسي وحاولت كثيراً أن اعتقد بهذه الشخصيات المحترمة

لكّني لم انبجح في ذلك فبأست من نفسي، أما بالتمسك لعلماء الاسلام فأريد ان ادّعي وهالك المضمرات من الدلائل والقرائن على اثبات هذا الادّعاء بأنني فخور بكوني دافعت بجدّ وبشكل فكري وهدمي مؤثّر وأكثر من أي شخص آخر من العلماء والخطباء والكتاب المعاصرين عن هذه الحماقة المريضة التي تعدّ أملاً كبيراً ورأساً عزيزاً لنا . وأما الأدلة على ذلك :

١ - عندما تعدّدت في سلسلة دورس «معرفة الاسلام» عن حذف الوسيط في ارتباط الانسان مع ربّه في الاسلام، سألتني بعض الطلبة عن دور علماء الدين في المجتمعات الاسلامية فقلت ان علينا ان نميّز بين الأمر الرسمي القانوني والضرورة التي تقتضيها الحاجة، ثم أجبته على هذا السؤال قائلاً: ان الفاصل الزمني الذي فصل المسلمين عن صدر السلام والتطور والتقيّد في العلوم والمعارف وبخصوصاً علم الفقه والتشعب في الفروع والمذاهب الاسلامية واختلاط عقائد المسلمين مع عقائد وثقافات الشعوب الاخرى وتمدد الفروع والعقول العلمية في المجتمعات الاسلامية المتطورة، جعل من الضروري ان يكرّس البعض انفسهم للدراسة والتحقيق في شتّى مجالات العلوم والمعارف الاسلامية لكي يتسنى للآخرين (الدين شغلهم مجالات العلم والحياة الاخرى عن درك الحقائق والحصول عليها من مصادرها الرئيسي أي النبي والائمة (ع) أو لم يكن لهم الكثير من الوقت للتفرغ

لثلم الدين كما كان يصل ذلك المسلمون الأوائل في صدر الاسلام) ان يتعلّموا العقائد وأحكام الدين من هؤلاء المتخصصين، وقلت ان هذا الأمر هو ضرورة اجتماعية وعلمية ثم قارنت بين المنصب الرسمي والمنصب الضروري وشبهتهما بالمراس الذين يختارهم الناس في بعض الحارات لحراسة منازلهم شعوراً منهم بضرورة ذلك والحراس الذين تمثيهم الدولة وتطيهم صلاحيات خاصة بزيّ خاص ودرجة رسمية معينة. وهذا هو الفرق بين العالم الاسلامي والنس المسيحي

٢ - ذكرت في كتاب «الانتظار» نقلاً عن (ونسان مونت) ان طالب العلوم الدينية هو يرويتاري فكري، وقلت ان هؤلاء المجاهدين المسائرين في درب العلم والايمان الذين لا تتجاوز نفقاتهم عن نفقة طير امريكي كرسوا حياتهم وشبابهم لتعلم الدين في الوقت الذي يختار فيه طلبة الجامعات حقوقهم الدراسية على اساس الدخّل المستقبلي المتوقّع لهذا القسم الدراسي أو ذاك

ان طالب العلوم الدينية يقضي عمره الدراسي بزه لا يكاد يصدّق ولا يوجد اي ضمان لتأمين حياته بعد اتمام الدراسة والتخرج ولا يشمله اي امتياز من الامتيازات الطلابية العادية الا انه وبالرغم من كلّ ذلك ينتهج هذا الطريق بصبر وايمان ووفاء لا يوصف .

٣ - قلت في إحدى المحاضرات الطلابية العائنة في حسيبية الارشاد مخاطباً الطلبة الجامعيين: ان أمني طلبة العلوم الدينية هو أكثر

متكم بالنسبة لمستقبل هذه النهضة الفكرية وترعية الناس وحياء روح الاسلام الأصيل ويث روح الرضى والعدالة التي تتجلى في التشيع العلوي لأن حياتكم الفكرية قصيرة جداً ولا تتجاوز الأربع أو السبع سنوات، بعدها سيشعلكم روتين الحياة وستكونون بشكل لا ارادي في مخالط الطبقة البرجوازية. أما طالب العلوم الدينية فإن عمر مسؤوليته الاجتماعية يساوي كل حياته فهو يشعر بالمسؤولية حتى الموت تجاه عقائد الناس ومصيرهم

٤ - لقد أثبتت في دراستي المجذور الطبقية هي «الصور» و«الجامعة» أن أكثر من ثمانين بالمئة من الجامعيين (الطلبة، الموظفين والاساتذة) ينتمون إلى الطبقة البرجوازية الساكنة في المدن وخمسة بالمئة منهم ينتمون إلى طبقة الاقطاعيين القرويين. أما الصوريون (العلماء المراجع، المدرسون والطلبة) فينتهي خمسة بالمئة منهم فقط إلى الطبقة المتوسطة الساكنة في المدينة (البرجوازية الصغيرة والكسبة الصغار) ويتنسب أكثر من تسعين بالمئة منهم إلى الجماهير القروية المحرومة وأبناء الفلاحين والملاي القرويين. ويختص هذا التحليل نتائج اجتماعية وفق تقييم اجتماعي مفصل وشامل.

٥ - لقد أخصيت في رسالة بحثية كتبها لوزارة العلوم وفي مقالة «الصحراء» - كوير - أيضاً الموارد التالية لرجحان الطريقة التعليمية الثربوية الحوزوية على الطرق الأكاديمية:

١) اختيار الاختصاص العلمي على أساس القيمة الفكرية لا الدخل الاقتصادي.

٢) الشعور بالمسؤولية الاجتماعية التي تتناسب مع الاختصاص الدراسي منذ اللحظة الأولى من الدراسة.

٣) اختيار الأستاذ بحرية تامة على أساس لياقته وقيمه العلمية.

٤) ضرورة احتفاظ الأستاذ بوجهته العلمية والاخلاقية.

٥) وجود علاقة المريد والمراد بين التلميذ والاستاذ

٦) الطريقة التعليمية المدرجة.

٧) رواج «المباحثة» بين الطلبة بمد كل درس.

٨) حرية الحضور في الصفوف وعدم التقيد بالمظاهر والشكليات المعقدة والادارية الجافة التي تشكل عائقاً دائماً في طريق كسب العلم

٩) مجانية التعليم

١٠) امكانية مواصلة الدراسة لعموم الناس بجميع اعمارهم وطبقاتهم وظروفهم

١١) اعطاء المنح الدراسية وتأمين السكن والامكانيات الدراسية لكل طالب.

١٢) اندماج الاخلاق مع العلم بشكل طبيعي

١٣) الاتصال الدائم بالجمهير

١٤) قبول مسؤولية القيادة الفكرية والهداية الاجتماعية للناس

١٥) العلاقة الوحيدة بين الأيديولوجية والعلم.

١٦) وجود «ثقافة مشتركة عامة» و«جهة واحدة» و«تنسيق

كامل» بين الفروع والأقسام العلمية المختلفة رغم تعددها ووجود التخصص فيها.

١٧) الاتصال بالماضي التاريخي والثقافي والفائدي «الشيء

الذي لا يراه في الثقافة الجديد»

١٨) عدم وجود أي شكل أو قالب ظاهري في تقييم الدرجة

العلمية للطلبة والاساتذة وتفويض هذا الأمر للناس والاعتماد على

كفاءة الشخص الذاتية وقيمه الفكرية وكماله العلمي بدلاً من دوائر

التوظيف وقوانين الترقيع التلقائي (التي شهتها في كتاب الصحراء^(١))

بأجاص بخاري الذي يقع في الماء، فيصبح مساعد المدرس بعد أربع

سنوات ويشكل أوتوماتيكي مدرساً ومصبح المدرس الجامعي بعد خمس سنوات استاذاً...)

١٩) ذكرت في كتاب «التشيع الطوري والتشيع المصغري» أن علماء

الشيعة رفضوا دائماً وعلى مدى ألف عام من التاريخ الإسلامي آيات

(١) كوير

الثورة على الظلم وكانوا من المدافعين عن الحركات المطالبة بالعدالة والحرية الاجتماعية وحماية العلم والتقوى، وقد حرض علماء الشيعة الناس دائماً على مواجهة أنظمة الخلافة الاستبدادية الأرستقراطية والحكومات التابعة لها وكانوا دائماً في طليعة الحركات الجماهيرية الثورية، وغير شاهد على ذلك حركة المدومين^(١) في القرن الثامن الهجري.

٧- ذكرت في كتاب «تاريخ الأديان» أن علماء الشيعة هم أزه فئة أو طبقة روحانية بين جميع الأديان والمذاهب في الماضي والحاضر

٨- إن التقوى والنورع والاتصال الدائم بالجمهير والوقوف بوجه القوى الحاكمة - أو الإعتاد عنها على الأقل - هي من الخصائص الطبيعية التي يمتاز بها علماء الشيعة على رجال الدين في المذاهب والأديان الأخرى لأنهم يعتمدون من الناحية الاقتصادية والاجتماعية على الجماهير لا على الحكومات.

٩- ذكرت في كتاب «الاستنطار ومذهب الرعص» أن هناك اشخاصاً يتحلون الزِّيَ العلماني بتخطيط وتأمير القوى المعادية للناس مسمين بذلك عصر النسبة وأحصل نيابة الامام (ع). إن هؤلاء

(١) سرمداران

الاعتنايين قد يحصلون بمساعدة تلك الأيدي الأثيمة السرية والمخفية على مقام روحاني أو وجهة مصطنعة أو مرجعية كاذبة بعية الإساءة إلى الوجوه العلمانية المحقة والتقليل من شأنها ودورها المحوري في المجتمع -

١٠- نص الحديث الذي تحدثت به في بداية الدرس السابع عشر من سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ردًا على نقد غير لائق أوردته السيد (مكارم) في مجلة «في رسالة الاسلام»^(١) في البداية لم أكن أرغب في الرد إلا أني شعرت أن الطلبة الذين يعرفون دروسي وأرائي جيداً استمربوا كثيراً من الأسلوب والاحلاق وادب الكتابة في هذه المسجلة الدينية المنسوبة إلى علماء الدين فرأيت من الضروري أن أدافع عن الحرزة العلمية قبل أن أدافع عن نفسي فقلت آنذاك:

«ولاً، إن طريقة التفكير واسلوب الكلام في تلك المقالة يخفى صاحب المقال وليس له أي علاقة بعلماء الدين (وهذا ما أقوله دائماً عندما أواجه أي تهمة أو حتمية من المثبتين بالزعم العلماني المقدس لاخي أعرف جيداً أثرها السلبى بين المفكرين لذا أسعى دائماً إلى تبرئة علماء الدين من هذا الاتساب)

ثانياً، إن أي مترك ومعممة في هذا المجال توجب صرف

الأذهان عن الحقائق. لذا إن واجبتنا هنا هو الصمت والصبر تجاه هذه لشنائم والتهم. من هنا اضطرت آنذاك إلى التذكير ببعض الأمور، وأود أن يتلقى الجميع هذه التذكرة كردّ أردّه على كل تهجم من هذا القبيل وكراي خاص بي تجاه علماء الدين والحرزة العلمية الدينية أنا نص المقدمة فهو كما يلي:

«..المسألة الثانية التي تعتبر مسألة مهمة علمية هي أن البعض يحاول يشتي الأساليب أن يصوّروا الآخرين بأننا فئة أو أشخاص مناوئون لعلماء الدين فيتهمون علينا تحت هذا النطاء، والغاية من ذلك هي إثارتنا للتهجم على العلماء دفاعاً عن أنفسنا لكي يستغلوا هذا انتهمهم ويشيعوا بين الناس أن هنالك فئة أو جماعة من المفكرين تعاقب علماء الدين. هذه هي غايتهم، وصلينا أن نصبر تجاه هذه الاستغزات والتهم الواهية ونضع الأمر أمام الآخرين ليحكموا عليه لكي تحبط هذه المؤامرة القذرة. من هنا أريد أن أقول أن شخصاً مثلي (يتحدث بهذا الكلام ويحمل هذه الآراء ويفكر بهذه الطريقة) قد لا يتفق مع عالم ديني في بعض المسائل وينتقد طريقته في التبليغ الديني أو طريقته في تحليل بعض القضايا ويختلف معه في الكثير من الأمور - وإن كان ذلك العالم عالماً دينياً حقيقياً - إلا أن هذا الخلاف هو خلاف الأرب والابن في الأسرة الواحدة ولهذا أسعى أن لا أخرج هذا الخلاف العائلي بين جيلنا والجيل السالف إلى الأثرة والأسواق لكي لا يستغل

البدو - عددٌ هذا الجيل والجيل السالف - هذا انخلاف لصالح احرارهم وأطماعه

١١ - ذكر في سلسلة دروس «معرفة الاسلام - حسينية الاوشاد» ان رابطة الطلبة الايرانيين المقيمين في فرنسا - التي كانت تديرها بعض الأيدي آنذاك - نظمت ذات مرة اجتماعاً حضره السيد جهانگیر تفضلي. وقد تحدث في هذا الاجتماع السيد رزم آرا وتهنئته خلال حديثه على علماء الدين بألفاظ من هذا القبيل: «في إيران، عندما أمر من امام مسجد أو أسمع صوت واعظ يتحدث تندهور حالتي الصحية ويستاء مزاجي، اني اكراه هذا الدين وتشمش نفسي من رجائه، ان هؤلاء الملالي هم السبب في شقاء البلاد ويؤسها وهم القاعدة الرئيسية التي يرتكز عليها الاستعمار...»

أردت ان تحدث الانهم معوني من الحديث. انتظرت وصول الدور لي لأحدث لكنهم لم يراعوا الدور، فما كان يوسعي إلا أن أفرض نفسي على المجلس برفع صوتي فقلبه، اني استغرب من حديث السيد... لأننا لو راجعنا اليوم القنائل الاخرية البدوية لرأينا جميع افرادها يعرفون هذا المبدأ الاخلاقي الحضاري المسلم الذي يفرض على احرار عقائد الآخرين وآرائهم. اني استغرب من كونكم تعيشون في عاصمة الحضارة وحرية الرأي واحترام عقائد الآخرين ولم تتأثروا بهذه الحضارة اي تأثيراً؟

ان الدعوة للحضور في هذا الاجتماع هي دعوة هائلة، اذن انتم تعملون حضور اشخاص مثلي لم يثبتوا بعد الى درجة تجعلهم يحتفلون كلاككم، فكيف تسمحون لأنفسكم بالانساء الى عقائد اشخاص مثلي؟ ثانياً ان الدين ليس قطعة من الحلوى كي تتحدثوا عنه كما تحدثت الوحى المصاح الى زوجها فما معنى قولكم «نحن لا نحب الدين»! ثالثاً، انكم تقولون ان الملالي كانوا قاعدة للاستعمار، لكن هذا الكلام هو مسألة واقعة وتاريخ وليست مسألة دور كي يمسى لكم لتحدث عنها كيفما تشاؤون، بل عليكم أن تأتوا بما يبرهن على ذلك فحسب ما تفيد معلوماتي ان جميع الاتفاقيات الاستعمارية الموجودة وقعت على يد الدكاترة والمهندسين واصحاب الشهادات العليا الذين اكملوا دراساتهم في الجامعات الغربية، فان استطعتم ان تأتوني بتوقيع احد هؤلاء الملالي الذين تخرجوا في حوزة النجف لاتفتت معكم في الكلام وشاطركم هذه المقولة، إلا اني أرى العكس هو الصحيح لأننا نرى وجوهاً لبعض هؤلاء الملالي أو على الأقل وجهاً واحداً لهم في طليعة كل نهضة مناوئة للاستعمار وفي مقدمة كل حركة ثورية تقدمية تطالب بالاستقلال ابتداءً بسيد جمال والميرزا حسن الشيرازي وحتى رجال ثورة الدستور -

١٢ - لقد دافع بكل جسدي عن علماء الدين ودورهم الاجتماعي خلال فترة تواجدي في أوروبا (من عام ١٩٥٩ حتى عام

(١٩٦٤) وتصديت لجميع التهم الموجهة لهم وكان هذا متزامناً مع اتفاق أغلب الفئات المتنازعة على التقليل من منزلتهم ودورهم الاجتماعي. فقد دافعت عن علماء الدين في الأوساط الفكرية الأوروبية وفي أوساط الطلبة الإيرانيين بشكل مؤثر مستخدماً بذلك شتى الأساليب والطرق كالمحاضرات والتفارير والدراسات العلمية في علم الاجتماع الديني، وهذه هي حقيقة لم أجدتها عنها أبداً لأن الخوض فيها يستهلك نوعاً من العجب وصدق الذات وما ذكرتها هنا إلا اثباتاً لتأييدي لهذه الجبهة ووقوفي بجانبها وهذا ما يعرفه كل مطلع على الأوضاع في خارج البلد.

هذا هو رأيي في علماء الدين وذلك هو رأيي في «الروحانيين» (بالمعنى الآخر)!

والآن علينا أن نتساءل من مصدر هذه الاشاعة التي تستهدفهم بمخالفة العلماء والنوعية العلمية وللإجابة على هذا السؤال علي أن أقول -

أولاً أن القاسطين يحطون ليدر الصفة والنفاق والتشاؤم بين المتقف والمتدين، والعورة والجامعة، والطالب الجامعي والطالب الحوروي، والخواص والعوام، وأن الشيء الوحيد الذي من شأنه أن يبطل هذه الحطة هو عمل «جماعة من المتقنين المذبيين» على بناء جسس ضد هذه الفجوة الكبيرة.

فاليوم يجلس الطلبة الجامعيون والحوزويون جنباً إلى جنب في حسينية الارشاد ويرجع المتقنون - ولأول مرة - إلى علماء الدين ويقفون إلى جانب الجماهير وهذا أمر لا يروق للقاسطين، لذا براهم يحطون دائماً لإثارة الضجة وروع الفتنة بين الفريقين بشتى الوسائل والأساليب كالزور والتزوير والقتل والاختراء والتهمم والاشاعة وحتى لكلام الفاحش والطعن بالأهراء

ثانياً عندما قُذروا التهمم علي وعلى حسينية الارشاد رفعوا شعاراً فجاً وغير مدروس في بياض الأسماء، فالقميص الذي رفعوه ليوحوا للناس انه قميص علي سرهاني ما ظهرت حقيقة كونه قميصاً لثمان فقد احتاروا في البداية ومن بين التهم الموجودة كالانتساب إلى النصرانية واليهودية والبايئة والشيوعية والوجودية والشيوعية والصوفية وغيرها - اختاروا أكثر هذه التهم تأثيراً في عواطف الشيعة في إيران فاتهموني بالانتساب إلى اسوء المذهب السيئة أي المذهب الرهايني، وكان هذا الاختيار صائباً من هذه الناحية إلا أن الشيء الوحيد الذي لم يكن في حسابهم هو عدم التصاق هذه التهمة رغم استخدام الأطنان من صمغ العجل والنفسطة

عمموا بلاغاتهم على جميع الشعب والقروخ وشرع حملاتهم بإشاعة هذه التهمة، ولكن ولحسن الحظ وبمساعدة حسينية الارشاد واهتمام جماعة من الزملاء تم استئناس وطبع الدروس والمحاضرات

وحتى اشرطه الكاسيت التي سجلت عليها محاضراتي، وقام اقلية من كل المدن والكتليات باستنساخ هذه النماذج وتوزيعها على قدر استطاع شعوراً منهم بالمسؤولية تجاه ذلك وهكذا عرضت افكاري (عن انتصاع واهل البيت والائمة ولا سيما علي و فاطمة والحسين والامام الموهود (ع) على اصحاب الفكر والقلم وخاب أمل الأعداء وأصبح طرح هذه التهمة في أقصى المساجد الحسينيات وحتى في مجالس العزاء التي تعدها النساء في البيوت امرأ لا يجلب لصاحبه إلا الغزوي والمار أو لظمة على الأستار، لكنهم لم يكتفوا بهذه التهمة فاستبدلوها بتهمة أخرى ووضعوا هذه امرأة شمار محالفتنا لعلماء الدين، فالهمم هو استنزاد العلماء وتحريكهم وتحريضهم ضدنا سواءاً بتهمة المخالفة للتشيع أو المخالفة لعلماء الدين!

يبد أنهم أخطأوا في حساباتهم مرة أخرى فكيف يمكن التهمة التي لم تؤثر في حوام الناس ان تؤثر في علمائنا المفكرين الذين يراهم في حكمهم على الأمور المعايير السلمية والشروط الفقهية والمثل والمنطق؟

وهكذا بادت حطهم الثانية بالفضل ايضاً ليشعروا بالبحث عن قميص عثمان آخر، الا ان علماءنا الاعلام ووعاظنا الأفاضل وطبنا الرابين انتبهوا ولحسن الحظ وخصوصاً بعد اشاعة التهمة الثانية الى علسقة هذه المؤامرة وخرط الأعداء منها. ونحن ايضاً شعرنا بخطورة

السوق، اكثر من ذي قبل فأخذنا بخطوطنا بحيلة وحذر وكان هذا الشعور المشترك هو السبب في تقاربنا والتعرف على بعضنا فقلنا من خلال هذه المعرفة دروساً كثيرة، فما أكثر العلماء والفضلاء والخطباء والتمهدين الذين كانوا يشكون بإخلاصاً وصحة ووثيقاً او طريقنا في التفكير والفعل متأثرين بالندعيات المسيويرة والأجواء السامة وحملات التزوير والافتهام وما أكثر المفكرين والمثقفين الذين كانت لهم مشاعر سليمة تجاه علماء الدين تحب تأثير اوراق الدعاية المشبوقة. لكننا نرى اليوم مشاهد مثيرة ومفعمة بالحوادث والاحلاص من الانتباه الى انفسنا والايمان ببعضنا وراحة العبار والصدأ عن قلوبنا وتوطيد أواصر اخوتنا.

س - ان طريقكم في الكتابة والتعبير تستبب الموصى والايهام للبعض فيما يستغلها البعض الآخر من يحمل افكاراً خاصة لصالح ترويج افكاره كما يستغل طريقكم هذه بعض المفرضين الذين يترصون الفرص دائماً كي يشعروا أذهان المصوم من الناس بل انفسهم منهم ممن هم متعودوا على المراجعة والتحقق في المسائل التي يسمعونها. فهل لكم ان تبتكروا طريقة تميركم هذه بشكل تسليو في امكانية الإساءة في تفسيرها وتأويلها؟

ج : أعتقد ان من المستحيل ان يبلغ خطيب أو كاتب - مهما كانت مهارته وثقافته وأدبه واحاطته بعلم الله - هذه الذروة من الأدب بأن لا

يكون في كلامه أي إيهام لأي قارئ أو مستمع مهما كان مستواه أو نوع تفكيره وثقافته وبسبب الطريق على أي مفروض كي لا يحرف عبارة من عباراته. ففي الوقت الذي يرى فيه القرآن وهو كلام الله تعالى يؤول لمقاصد وأغراض عديدة ويختلف العلماء المفكرون البارزون في فهمه وتأويله ويستنبط كل فريق وقتة وطائفة من كل آية من إيمانه ما لا يستنبطه الآخرون. كيف يمكن لكاتب أو خطيب عادي أن يتحدث أو يكتب بطريقة لا يمكن تأويلها وتحويلها؟

من هنا أريد أن أقول أنه كلما ازداد الفكرة عظيمة وكلما ازدادت المعاني ظرافة وكلما ازدادت المشاعر سحرًا وكلما ازداد الكلام جماليًا وبداقة، سيزداد منه أيضاً احتمال سوء الفهم والابهام والالتباس، والاختلاف في درك المفاهيم، والتناقض في الاستنباط وأنواع الأغراض والأمراض.

من حوار أحد الطلبة الجامعيين مع الدكتور شريعتي

الطالب : لقد اتمكس تصويركم في الازدهان كـتصوير «مفكر ديسي» فهل انتم راضون عن هذا التصوير؟
شريعتي : لو عرفكم أحد بكلمتين مجهولتين، فهل سيرضيك هذا التعريف؟

الطالب : ان معنى هاتين الكلمتين بسيط وواضح بالنسبة لنا فالمفكر: هو الشخص الراعي الذي يفوض في مجال الفكر، والذي هو الذي يؤمن بما وراء الطبيعة كالايمان بالله مثلاً..

شريعتي : لو اتمن أحد عملاً فكرياً (كالمحاسبة مثلاً) لكنه لم يكن واعياً فهل سيكون مفكراً؟ ولو كان واعياً ولم يعترف عملاً فكرياً فهل سيكون «غير مفكر»؟ وان كان يؤمن بالله ولا يؤمن بما وراء الطبيعة فهل سيكون «غير ديني» وان كان يؤمن بما وراء الطبيعة ولا يؤمن بالله (مثل يوزا وهيجل) فهل سيكون دينياً؟

الطالب : يبدو ان المسألة ازدادت صعوبة..

شريعتي : كما تلاحظون ان المسألة ليست بهذه البساطة. فبالأما ما يحصل سوء الفهم بسبب مرورنا على المسائل مرّ الكرام، فأتينا

تترحل على الحقائق وكأننا نلعب في سيرنا المنطقي في العملية الفكرية. الكلمات التي نستخدمها لاستيعاب مقاصدنا ونقل ما هي ادعائنا، غالباً ما تكون مبهمة لنا ولسماعينا، أو غير متفق عليها من قبل طرفي الحوار على الأقل. لكننا على الرغم من ذلك نرى أن الحوار يجري بشكل طبيعي بدون أن يشعر أي طرف من الأطراف بعدم الاتفاق على الكلمات التي يستعملونها، والأغرب من ذلك هو أننا نرى في بعض الأحيان أن المفاوضات والمباحثات تجري على ما يرام وتسر من نتائج متفق عليها في ظاهر الأمر ولكنها لو أمعنا النظر في هذا الاتفاق لرأينا أن الجانبين قد اتفقا على كلام لم يتفقوا على معناه، والسبب في ذلك هو أن جانبي الحوار لم يقفا وقفاً كاملاً على معنى الكلمات الأساسية التي تبادلوها في حوارهم بل اكتفيا بالمعنى الاجمالي لتلك الكلمات. هاتان الكلمتان (الفكر والدين) هي من هذا النوع من الكلمات

الطالب : ألا تعتقدون انكم انتقلتم الى مبحث الاتفاظ ؟

شريمعتي : بلى لأن الاتفاظ هي الأدوات الوحيدة لبيان الأفكار وقبل كل شيء علينا أن نتأكد من دقة وصحة أدوات عملنا .

الطالب : على أي حال، ماذا تعني هاتان الكلمتان (المعكر الديني) بالنسبة لكم ؟

شريمعتي : اني اعتقد أن الدين هو بمعنى «المعرفة بالذات =

(constence) خلافاً لما تعنيه «الفلسفة» أو «المفهوم» أو «المنهاضة» التي تعتبر نوعاً من العلم (science). والمفكر هو الشخص الذي يبي الزمان والمجتمع والتقدير التاريخي والعلاقات الاجتماعية والمواجهات والجهات والمصير الاجتماعي الخاص به، وبعبارة أوجز : المفكر هو الشخص الذي يبي «الوضع» أو «الحيثية» الاجتماعية الخاصة به (situation social)^(١) وهي التي يسقطها الاسلام «الطرفة» وهي التي يقصدها افلاطون عندما يعرف الانسان بأنه «حيوان سياسي»^(٢).

نعم، بهذا المعنى انا راض من عبارة «المفكر الديني» واشكركم عليها ! ولكن علي أن أقول اني لست مفكراً ديبياً بل استمقي وأسعى لأكون مفكراً ديبياً فاني ما رلت اسير في بداية هذا الطريق. اقول هذا كي لا يتهموني بالعجب والتعطرس.

(١) نريد من الاطلاع يرجى مراجعة كتابي «العريق الثالث» و«معركة الذات والاستعمار» للمؤلف.

(٢) لقد ترجم هذا التعريف (الانسان حيوان - سياسي) بالمعنى الاجتماعي «الانسان حيوان اجتماعي» في حين تعتبر الفكرة حيواناً اجتماعياً ايضاً ان الحيوان السياسي هو الحيوان الذي يبي المجتمع الذي يعيش فيه ويشعر - بهوي - بالمصير المشترك وأوضاع الاشتراك التي تربطه بمجتمعه ولذا عرفنا الانسان بأنه «حيوان متعصب» ولا ننسى ان السبب الذي جعلنا نرسم للتعصب تصويراً شيئاً في ادعائنا هو أننا نرى غالباً التعصب السبباً للتعصب في حد ذاته ليس أنراً شيئاً للتعصب - كالتعصب - هو الانتماء الى الحصة بمعنى الجماعة وهو الشعور بالانتماء والارتباط بالجماعة

الطالب : لقد ذكرت في العبارة الأولى من مقدمة سلسلة دروس «معرفة الاسلام» ان الدولة العثمانية هي رمز للاقتدار الاسلامي (معرفة الاسلام ص ١٢) في حين يعلم الجميع ان هذه الدولة هي دولة فاسدة ولا يليق بها ان تسمى دولة اسلامية.

شريمعتي : ولهذا السبب كتبت في العبارة الثانية وفي الصفحة نفسها: «ان الهمزة العثمانية لم تكن هزيمة سياسية وعسكرية بحسب بل كانت بمثابة سقوط الثقافة الاسلامية واستهلاك لتسوى المسلمين الروحية والفكرية، فقد جعلت الدولة العثمانية - من الدين مادة انيوية تخذل بها الجماهير وجعلت من الاسلام طليعاً يحافظ على الارستقراطية وقاعدة عريضة يرتكز عليها سلطان العنصر التركي (معرفة الاسلام ص ١٢)

الطالب : لقد خلق احد السادة اخيراً على عنوان كتابكم «مسؤولية الانتماء الى مذهب التشيع» بان اختيار هذا العنوان يكهف عن مدى حقدكم على المذهب الشيعي، فما هو تعليمكم على ذلك؟

شريمعتي : انا لله وانا اليه راجعون

الطالب : قد يشعر البعض من خلال مطالعته لكتابي الصغراء (كوير) ودرس (بودا) الذي نشرتموه ضمن مجموعة دروس «تاريخ الادب» ومن خلال رواية بعض الطلبة الجامعيين الذين حضروا دروسكم في جامعة مشهد واقراءهم بانهم كانوا ينتظرون بشدة

وينسون أنفسهم اثناء تدريسكم لموضوع «بودا»... قد يشعر البعض انكم معجبون جداً بالدين البوذي؟

شريمعتي : نعم فأنا «سني المذهب» «صوفي المذهب» «بوذي» ذو نزعة وجودية «شيعي» ذو نزعة دينية «مفترب» ذو نزعة رجسية «واقفي» ذو نزعة خيالية «شيخي» ذو نزعة وهابية» وغير ذلك (اللهم زد وبارك).

الطالب : لماذا لم تردوا بعد الآن على الانتقادات والتهجمات التي استهدفت كتبكم ومباحثاتكم؟

شريمعتي : لقد شؤشوا ادهان شعبنا دائماً بهذا الفسجيع وهذا البراك الفارغ ليكفروا صفو الماء ويتصيدوا فيه، لذا لم احاول اقتعال اي ضئله لأشوش بها الأدهان أبداً

يبد ان بعض الزعماء الذين يؤمنون هم أيضاً بهذا المبدأ ارتأوا اقامة مدوة سؤال وجواب ونشرها على شكل ملزمة لتبين بعض الحقائق لمن لا يعرف شيئاً عن برزخ حسينية الارشاد الدراسية والاعلامية والتحقيقية وكتبها المطبوعة ولأولئك الذين احدثت الأشاعات المتواصلة في أذهانهم انطباعاً خاصاً أو شبهة أو ايهاً ما في مسألة ما

الطالب : اليوم وبعد مرور خمسة أعوام على نشر سلسلة دروس

«معرفة الاسلام» هل لديكم أي نقد على هذا الكتاب؟

شريعتي: لقد كانت لدي بعض الانتقادات على هذا الكتاب منذ اللحظات الأولى لنشره لأن هذا الكتاب هو مجموعة دروسي الشفهية التي أُلقيتها على الطلبة. وقد طبع هذا الكتاب تحت إشراف الطلبة بدلاً من استنساخه ومن الطبيعي أن لا يكون المعلم راضياً عن دروسه الشفهية لو تم تدوينها على شكل كتاب، واليوم وبعد مرور أكثر من خمسة أعوام على نشر هذا الكتاب اذكر كلام استادي عرويش الذي خاطبني متهماً ذات مرة: «أين كنت نائماً في لحد أم تلاجة؟»

الطالب: كيف يعرف الناس رأيكم الموجود في كتاب «معرفة الاسلام» في عام ١٩٧٢ وذلك بعد مرور خمسة أعوام على نشره؟

شريعتي: الأمر بسيط جداً ولا يكلف سوى عشرين ريالاً فقط ملزمة «معرفة الاسلام»، الجزء الأول والثاني (طبعة حسنية الارشاد عام ١٩٧٧)

الطالب: ما هي انتقاداتكم المعاصرة في خصوص مضامين ملزمة «معرفة الاسلام» القديمة؟

شريعتي: (الف) كان علي أن أطرح موضوع الامامة في مبحث الشورى (ص ٢٨) كي أضع بذلك امكانية اساءة التصرف أو سوء الفهم. فقد اُعريت في هذا الكتاب عن مخالفتي لمبدأ «الشورى» و«البمة» (لا

بشكل مطلق بل هي موضوع الامام علي (ع) وبعد وفاة الرسول (ص) وقد استعرضت براهين عقلية ونقلية كثيرة في اثبات مسألة «الوصاية» بعد النبي ووجهاتها على «البمة» ونقلت قصة التدبير وولاية الامام علي (من ص ٤٢٣ وحتى ص ٤٢٣)، ولكن وقوع هذا الفاصل بين هذين العنوانين صار سبباً لأن يتهمني البعض بالمخالفة لمسألة الوصاية والتدبير رغم اني تحدثت عن مسألة الشورى صفحة واحدة وعن مسألة التدبير عشر صفحات.

(ب) في الصفحة (٥٢٩) ابدت رأيي في موضوع تعدد الزوجات مستشهداً بإعلان جبهة التحرير الجزائرية و«رمة النساء في ألمانيا بعد الحرب العالمية وغير ذلك من الشواهد، فسطرت الى جواز تعدد الزوجات في الاسلام (بالطبع مع الأخذ بنظر الاعتبار الفلسفة الخاصة والظروف والأوضاع الاستثنائية الفردية والاجتماعية) حتى انني وصفت تعدد الزوجات بأنه من الخصائص التي تدل على «الواقعية» في الاسلام. خير أن تميري الخاص (في هامش الصفحة ١٢٠) أثار نوعاً من الإبهام رغم تصريحاتي المنفصلة في هذا الصدد. فانياً لم تترجم هذه الآية بشكل صحيح في الكتاب: «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة...»

(ج) انتقادي الثالث هو اني اعتقد ان عناوين اصول العقائد الاسلامية التي نقلتها من فريد وجدي في القسم الأول من الكتاب

{١٢٠ صفحة الأولى منه} هي عناوين سطحية من حيث المستوى بحيث أشر الآن انني قادر على استنباط القواعد الاساسية الاسلامية برؤية أدق وأعمق وأبعد مما نقلته في كتاب «معركة الاسلام». لقد شعرت بهذه «السطحية» قبل خمس سنوات أثناء كتابة الكتاب أيضاً (وان لم يكن هذا الشعور يعنى شعوري في هذه اللحظة)، لكنني أردت ان اسد الكتاب الى سد علمي شهير فوق احمياري على سيرة فريد وجدي، مع كل ذلك وكما تلاحظون انني نقلت عن فريد وجدي المناوين فقط بينما جميع التفاصيل هي مني حتى اني طرحت مسائل جديده وعميقة تحت عناوين فريد وجدي البسيطة وكان من الجدير أن تطرح لي عناوين مستقلة.

ثم ان فريد وجدي لم يأت بالتوحيد كقاعدة اساسية من قواعد الاسلام ولعل السبب في ذلك هو اعتقاده بان التوحيد ليس مختصاً بالاسلام، غير اني قلت ان التوحيد في الاسلام يختلف تماماً عن التوحيد في الاديان السابقة نظراً لعمقه ودائرة شموله ولهذا طرحت التوحيد تحت عنوان مستقل. والإنشكال الذي أراه وارداً عليّ هنا هو اني طرحت التوحيد في أبعاده الانسانية والاخلاقية فقط بينما تلاحظون اليوم في سلسلة دروس «معركة الاسلام» الجديدة (طبعة الارشاد) اني وسّعت دائرة البحث الى أربعة أبعاد:

١- الرؤية الكونية

٢- فلسفة التاريخ

٣- علم الاجتماع .

٤- فلسفة الاخلاق

والإنشكال الثاني الذي اعتبره إنشكالا أساسياً هو انني وضعت التوحيد في مستوى أصول الدين الاسلامي الأخرى متّيحاً بذلك الطريقة التقليدية بينما اعتقد اليوم ان للإسلام أصلاً واحداً لا غير وهو التوحيد، فهو بمنزلة الجذر للشجرة ولا يمكن ان يتعدّد (الآن لتعدّد هو في الأخصان وليس في الجذر). وأما سائر الفروع الأخرى كالبثوة والمعاد والإمامة والمذل والجهاد والحج والاخلاق و... فهي فروع تنفرع من هذا الجذر وتنشأ عن هذا الأساس.

الطالب : لا يعنى على احد انّ والذكّم الاستاذ محمد سفي شريعتي مؤسس «مركز نشر الحقائق الاسلامية» هو من رواد النهضة الفكرية الاسلامية ومن الوجوه البارزة التي قدّمت خدمات علمية جليلة في سبيل تبليغ الدين والمذهب لا يسع المجال لتفصيلها، وهذا هو الحال بالنسبة اليكم ايضاً فالجميع يرمون ما بذلتموه من جهود عظيمة في سبيل نهضة الفكر الديني والدعوة الى الاسلام على أساس الرؤية الكونية للمذهب الشيعي وتأثيركم العميق والسريع على عقول المفكرين والطلبة الجامعيين داخل البلد وخارجه وكلّنا نعلم ايضاً بأنّ النشريات والدروس والمحاضرات (العلمية والتبليجية) والمؤتمرات

والمهرجانات وحفلات التأبين والجراسج الخاصة بشهري محرم ورمضان التي اقامتها حسينية الارشاد منذ بداية تأسيسها الى يومنا هذا وخصوصاً في السنتين الماضيتين قد اخصى معظمها بالدفاع عن المذهب الشيعي وبشر معارف اهل البيت والتعرف بشخصيتهم (عليهم السلام) غير اننا وبالرغم من كل ذلك ملاحظ اليوم حملة دعائية مدروسة ومستمدة تصاحبها أنواع التهم والاكاذيب والاشاعات قد استهدفت حسينية الارشاد وشخصكم الكريم، بل استطالت لتشمل والذك (الاستاذ محمد تقي شريعتي) الذي كرس عمره الشريف لخدمة الاسلام والمذهب. وسؤالنا هو: اولاً من الذي يقف وراء هذه الحملة الدعائية؟ وثانياً ما هو الهدف من هذه المؤامرة؟

شريعتي في الحقيقة، لا يستطيع الاجابة على الشئ الأول من اسؤال لسببين أولاً لأنني أعقد ان الجواب أوضح من الشمس، وثانياً لأنني أخاف! فلا يسمني إلا أن أقول بعذر - كي لا يسممني الجدار - ان هذه الجماعة لا تقس أساساً بالشيء الذي تتظاهر بالدفاع عنه!

وأما أهداف هذه المؤامرة والنتائج التي يريدون الحصول عليها

هي:

١ - السعي الى تشويه سمعة حسينية الارشاد بين الجماهير وابعادهم عنها

٢ - السعي الى تشويه سمعة حسينية الارشاد بين المستفيدين لزلها عن المجتمع وتهئية الأرضية اللازمة لتخليطها

٣ - الدفاع عن موقع السادة الديني والاجتماعي والمحافظة على الوضع الموجود وحكر الأفكار الدينية في أطر مغلقة لا تكون مفاتيحها إلا بأيديهم

٤ - التزم بما يشبه الملح لاثهم يدافعون عن رجال الدين بخلق سقيم ولسان متعشش وافعال مستهجنة كالتزوير والتعريف والكذب والقتل واليهتان ويحرضون الصوام بأنواع الطرق الرجعية السيئة والتصرفات الهيمية التي تمنحها الانسانية والاخلاق ويرفضها العمل السليم، فالستهدف هنا هم «رجال الدين» وليس أنا المسلم البسيط المتواضع الضائع - انهم يقومون بهذه الاعمال تحقيراً للعلماء لأن التعارب جعلت هؤلاء الأعداء الراعين الذين يخافون اسلام الغد أن يروا حقيقة ان أفضل طريقة لمحاسن الحقائق ليست مهاجمتها بقوة، بل الدفاع عنها بضعف.

وقد عشنا هذه التجربة مراراً عديدة في الاسلام وهي الجمعة الاسلامية العلمية وخصوصاً في الحوزة العلمية الشيعية ورأينا ان نتائج الهجوم المباشرة كانت معكوسة دائماً.

٥ - التخليع «للمذهب الوهابي» الجديد وتضخيم هذه الفقرة التي لم يسمع أحد في ايران باسمها من قبل ونسب كل دي فهم وشعور الى

هذه الفترة الضالّة

٦ - عزل المجتمع الشيعي عن كيان الامة الاسلامية وابثارة الثمرات الطائفية والاحقاد السابقة من جديد وتبديل الخلاصات المنطقية الموجودة بيننا وبين الاخوة اهل السنة الى مراع وخضام عميق وهذه هي الخطة التي عمل بها الاستعمار منذ القرن التاسع عشر لتزيق وحدة المسلمين.

٧ - اثارة المواقف واقتعال القتن واختلاق النزاعات الشديدة لصراف الأذهان عن العدو وخطارته ومؤامراته. فلم يكن امراً عفوياً ان يعلن احدهم من على منبر الاسلام: «ان اسرائيل هي خير لنا - نحن الشيعة - من فلسطين فان اسرائيل ليست عدوة لأهل البيت وانما العدو هم الفلسطينيون لأن اليهود أعطوا «فدك» لأهل البيت وسلبها هؤلاء منهم!»

٨ - سفيد الخطة الاستعمارية القديمة التي رسمها علماء الاجتماع للمستمرين: «حافظوا على الدين للعوام وروجوا الإلحاد بين المفكرين»

٩ - تجنب رواج الاسلام القرآني والتشيع العلوي والحيولة دون تعرّف الناس على الامة والمجاهدين الشيعة خفية بحقوق الاسلام الأخصيل وتبديل «ولاية المشايخ» الى «ولاية مقدمة تحريرة تصارع الجور والجهل والجوع»

١٠ - الشعور بخاطر جفاف ينابيع الرزق والمصرف أعني: الجهل، الطائفية، التقليد!

١١ - عقل أقوى قاعدة للدعوة الاسلامية العالمية وأحد المركزين الرئيسيين لإنتاج الفكر والثقافة الاسلامية (ايران) والتي كان المسلمون في شرق ووسط آسيا (مسلمو القفاز والهند وافغانستان وباكستان واندونيسيا وماليزيا وحتى الصين) يستشيون بنور ثقافتهم لساطع ويترفون من معين علمائها وأدبائها وشعرائها

١٢ - قطع الملاقة وزرع بذور التفاف بين المفكر والجماهير والعودة والجامعة والحديث والتقديم والجامعي والحوروي والمصنف والعامي... لأنهم يريدون الإلحاد للمفكر والتعصب للعامي والملاهي للشباب والمساجد للشيخوخة الطاعنين في السن

١٣ - كل حركة فكرية اسلامية تحاول طرح مبادئ «معرفة الذات» بشكل اسلامي تقدمي لا يذّلّها ان تموت قبل ولادتها، فان ولدت، لا يذّلّها ان تغفل، وان لم تغفل لا يذّلّها ان تشوّه وتلوث وتطرد وزلا سيقتير كل شيء... ولا يذّلّها لا يقتير أي شيء!

* * *

ص: مع انكم دعوتكم أصحاب الرأي والقيم الى نقد آرائكم وأيديكم بذلك حسن سلككم إلّا أنكم لم تعدلوا الحد الآن عن آرائكم حتى

لعمرة واحدة هل يعني هذا أن جميع آرائكم هي في غاية الاتقان وعارية من أي إشكال؟

ج: إن الذي يجري حولي هو مؤامرة متعمدة وصقطة وواسعة النطاق وليست قضية نقد علمي أو عقائدي.

فالذي يقرأ قصة الخدير وقصة وفاة النبي ودراساتي لشخصيات الصحابة وعلاقاتهم الخاصة وقصة عصية أبي بكر ووقوفها بوجه علي وكلماتي الخاصة التي تثير من حبي وإخلاصي ومدى حيرتي أمام عظمة علي ثم يقوم بعد ذلك بتعريض السذج من الناس بأنواع الضحيج والمرال والسب والشتم واليهتان ويتهمني بالعداء للتشيع والاسلام، لا يقوم بهذا عقوباً وإنما هي مؤامرة مدروسة متقنة. فكل من قرأ كتيب المتشيرة في كل مكان - يعلم أنني بدأت الكتابة باسم «أبي ذر النفاري» وكان عنوان آخر ما كتبه حتى الآن «التشيع الاحمر والتشيع الاسود»، فقد كثرت حياتي الفكرية وكلّ أيماني للدفاع عن مدرسة علي والولاء للعترة الطاهرة والشعر بالمسؤولية تجاه النهضة الشعبية التحررية الثورية العادلة. فأنني لا أنظر الى حوادث ما بعد النبي من منطلق شيعي فحسب، بل أنظر الى مسيرة التاريخ البشري ككل من هذا المطلق (الحسين وارث آدم) وأعدّ فاطمة (س) حلقة الوصل بين سلسلتي النبوة والامامة أي المرحلتين الأساسيتين في القدر التاريخي للمدالة والإخلاص - كتاب (فاطمة هي فاطمة). فالذي لم يقرأ كتيب قائمه سمع

بناوينها على الأقل فقد نشر لي في السنتين الماضيتين فقط الكتب التالية:

«الحسين وارث آدم»، «الانتظار ومذهب الرفض»، «التشيع الملوحي والتشيع الصمعي» «الامامة والامامة في علم الاجتماع»، «الدعاء مدرسة السجادة والاحتياج والرعي والجهاد»، «القيمة حزب كامل»، «التشيع الأحمر»، «علي: ثلاث وعشرون سنة جهاد من أجل الرسالة، خمس وعشرون سنة سكوت من أجل الوحدة وخمس سنوات صراع من أجل العدالة»، «علي، الانسان الكامل»، «وحدة علي»، «لو قال علي: تم»، «علي حقيقة تشبه الأساطير»، «ما هي الحاجة الى علي؟»، «عصرنا يبحث عن علي»، «حياة علي بعد الموت»، «علي روح واحدة ذات عدة أبعاد»، «فاطمة هي فاطمة»، «مسؤولية الشيعة»، «أبو ذر في المواجهة مع عثمان»، «نعم، هكذا كان يا أخي»، «الجهاد = الحسين، ما بعد الشهادة = زينب»، «القاسطون، المارقون والتاكفون» و...

وقد كتب غيري في حسينية الارشاد.

«الخلافة والولاية من وجهة نظر القرآن والسنة»، «علي شاهد الرسالة» و«موجود الأدان» للاستاذ محمد تقي شيريني و«جاذبه ودافعة علي» و«الولاء والولاية» للاستاذ مرتضى مطهري و... وأكثر من مئتي محاضرة خاصة بمواضيع مدرسة اهل البيت (ع) ألفها

مشاهير الخطباء هي حسينية الارشاد ومع كل ذلك تلاحظون ان هذه الجماعة تصرّ على احتمال الإشاعات وإثارة الضجة واختلاط أنواع التهم والشائعات رغم كل هذه الخدمات والنتاجات العلمية.

فكلّ ما كتب وقيل لم يكن تقدماً علمياً، لا اريد ان اقول ان كل ما كتبه ليس قابلاً للنقد ولكني اقول ان كل ما سمعته لم يكن تقدماً علمياً

فيذا كنتم تقصدون انني اصبر على كلامي ولا أقبل كلام ضيري فإنكم مخطئون لأن كل من قرأ كتيبي أو حضر دروسي يعلم جيداً بأنني أمد نفسي قبل أي شخص آخر وأكثر من أي شخص آخر وعندما أتوصل الى مسألة جديدة تصحّح آرائي السابقة فاني أبادر بإعلانها والاعتراف بها فور التوصل اليها وحتى أثناء المحاضرة الدراسية التي لا ترتبط بها أنا بالنسبة للاهتمام بأراء الآخرين فاني أصلي ما أكتب دائماً الى طيبي ليدلوا بأرائهم حولها واني أقبل هذه الآراء في غالب الأحيان، كما يعلم كل الذين تعاملوا معي ان لي ادناً صاغية ومصدراً رحيماً أراء أي رأي اصلاحي أو أي نقد يتناهى بل حتى أترجى الآخرين ان ينقدوا آرائني أما أنا فأصحّح دائماً ان ما اقولنه هو مجرد رأي ليس إلّا وأضع الميكروفون بين يدي كل من يريد التحدث في جلسة عمائة بعد كل ساعتين دراسيتين ليتحدث ثلاث أو أربع ساعات، وقد جاقوا ونعدتوا وحتى تفضّلوا علينا بالاهانة؟ وما كان مني ومن طيبي ومن الحسينية إلّا أن نسمع ونصبر ونشكر!

أما اذا كنتم تقصدون ردّ فعلي ازاء سيل التهم والشبهات والإشاعات الواسعة النطاق التي أثاروها بشكل مستمر من وجاهتها بأذنين أصمتين ولسان أبكم فلحكم الحق في ذلك ولكني لا تخطأ هذه الجماعة في تفسير هذا الكلام على أن أقول انني سوف لا استكت ابداً عن اولئك الذين لا يأثرون جهداً في خداع الناس وطمس كل فكرة وحركة تسمى لإحياء الايمان وتوعية الافكار وعلى اولئك الذين يصوّرون إمام الشيعة بصورة مرتزق يسترحم الخليفة، ويصوّرون الحسين العظيم بصورة مضطّر يسترحم القصر، وسوف لا اسامو ولا اصحتي بالحقيقة من أجل مصالحتي الخاصة حتى لو صلبوني وسحقوني وكفروني ورجاني وتوقيني من كل من يشمر بالمسؤولية تجاه ادين والناس وخصوصاً علماء الشيعة الحقيقيين أن يصيبوني في هذا الطريق. واما اولئك القوم فإنهم قد يستطيعون أن يصلبوني كما صلبوا «عيسى القضاة» أو يحرقوني كما حرقوا «جربادو» لكنهم لن يتدروا أن يسمعوا مني صوت «آء» واحدة، وكما قال أبو در: لو ضُخّط فلان عثمان وعبد الرحمن وكعب الاحبار (ملكوت السلطة والذهب والتتوير) السيف على بحري ولم يبقى مني إلّا نفس واحد مسألط ذلك الناس يقول كلمة حق، من أجل تشجيع الملوي الذي يؤمن به بكل وجودي حتى لو لم تكن هذه الكلمة لا تصبّ في صالح التشيع الصغوي!

وهسلام



مؤسسة الجعفر الطائفة

E-mail: jafar_zh_attar@yahoo.com

فهرس الموضوعات

١٧	مقدمة الطبعة الفارسية
١٨	ملاحظات الناشر
٢١	كلمة بخصوص الترجمة
٢٣	الدين ضد الدين
٢٩	الكفر
٣٠	الشرك
٣١	عبادة الأوثان
٣٢	خصائص دين الشرك
٣٣	التوحيد
٣٦	المسامري
٣٦	يلم بن باهرا
٣٧	الفريسيون
٣٧	مضركو مكة
٤٠	مأهبة الدين الشري
٤٢	مأهبة للدين التجري

فهرس الموضوعات

٤٣	الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٤٣	استمرار دين الشرك
٤٤	قاعدة حماية دين الشرك الاجتماعية
٤٦	العامل الرئيسي في دين الشرك
٤٦	الدين الانهيري
٤٧	المرجئة في التاريخ
٤٧	حركة دين الشرك
٥٣	الله والناس
٥٤	اتباع الطوائف
٥٩	دين الكفر ودين الاسلام
٦٠	هيمنة دين الكفر على التاريخ
٦١	المال مال للناس
٦٢	عياي الله
٦٣	دعم التمييز الخليقي والعناني
٦٤	الرب والخالق
٦٤	المدينة المتورة ومن المجتمع المثالي
٦٧	الدين في ايران
٦٧	الطبعة الأولى والطبعة الثانية
٦٨	الطبعة الثالثة
٦٩	رجال الدين المسجوس وتحرير التمييز الخليقي
٧٢	أنبياء دين التوحيد

٧٢	دين الشرك الجلي والظني
٧٧	خطا المفكرين
٧٧	رسالة العلماء والمفكرين
٨٧	نعم ، هكذا كان يا أخي
١١٧	توينبي ، الحضارة - الذين
١١٩	حوار مع توينبي
١٢٥	وداعاً يا مدينة الشهادة
١٤٢	لولا اليايا وماركس
١٥٩	ندوة للاجابة على الامثلة والانتقادات
٢٠٧	مقتطف من حوار مع أحد الطلبة الجامعيين



لحم لجهله

تاريخ افتتاح هذا المركز

١٤/١٠/٢٠١٠

أ

حزني والمني الوحيد هو أنني لم أستطع أن أذهي
أعمالي ، بك أنني لم أستطع الاستمرار بها وستبقى
تلك غصة مائكة أذهي ، هذا من جانب . ومن جانب
آخر فأت حزني والمني على الكثير من أعمالي
الرئيسية بقيت أسيرة زحمتها ، ومهددة بالزوال ، وما
نشر منها طبع على شكل مسودات مليئة بالأغلام ،
وذلك لقلة الإمكانيات وكثرة المشاغل .

يجب عدم النظر إلى أعمالي على أنها أعمال علمية
تحقيقية فحسب ، بل يجب أن تخلقا كصرفات . من
شدة الألم والأسى . وذلك باتجاه الطريق وهزات من
أجل الصحة ، ومساعد على الطريق ، ونظرات كلية
في إطار الدين ودعوة واحدة ورؤي ، وأخيراً نوعاً من
التعبئة الفكرية والروحية في المجتمع .

كل ذلك كتبته وأنا منفي وتحت ظروف ضاغطة ،
ومؤمرات محاكمة ، وفي حال كنت أنتظر فيها
انصية في كل لحظة ، لذلك يجب أن يعاد النظر
في هذه الكتابات من الناحية العلمية والفنية ،
وتصحيح الأخطاء اللغوية والمعنوية وتصحيح مرة
أخرى ، فهي ثمرة حياتي وكلها أتمنى ، وهي كل
وجودي وميراثي .

إن لطف الله وحرقه أوليائه للدين ، جعلني أتكلم
في هذا السكون المجلب ، في زمان أصبحنا نفقد
فيه كل شيء ، فاجتأنا تصاني من مسخ هويتها ،
وغديرنا العذب في حال الجفاف وهذه هائلنا
الشامخة بقيت بلا مدافع عنها أمام التهمجية
والفوقانية حتى أقتنى من الصعب أن يجد كلامي
طريقاً بين آلاف الأحقاد والآلام التي تحيملنا .

عن وصية الدكتور شريعتي



دار

الفكر الجديد

العراق . الاله الاشراف

٧٨٠١٠٣٦٠٠٨ * ٧٨٠١٥٨١٤٧١